بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يا أولا لا تاريخ لأوليته ونصلي ونسلم على نبيك الذي تهلل جبين التاريخ بمولده وبعثته أبي ابراهيم المبعوث بملة ابراهيم القائل يوم عاشوراء نحن أحق بموسى الكليم وعلى آله مصابيح الدجا وأصحابه مفاتيح النجا (أما بعد) فاني قد اطلعت على رسالة في تقويم العرب قبل الاسلام وتحقيق مولد النبي وعمره عليه الصلاة والسلام ألفها باللغة الفرنساوية المرحوم محمود باشا الفلكي فآنقني صنيعها الحسن فعربتها رغبة في نشر المعارف وخدمة لابناء الوطن ورتبتها على مقدمة وقسمين وخاتمة والله المسؤل أن تكون بالحق والصدق قائمه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمدك اللهم يا أولا لا تاريخ لأوليته ونصلي ونسلم على نبيك الذي تهلل جبين التاريخ بمولده وبعثته أبي ابراهيم المبعوث بملة ابراهيم القائل يوم عاشوراء نحن أحق بموسى الكليم وعلى آله مصابيح الدجا وأصحابه مفاتيح النجا (أما بعد) فاني قد اطلعت على رسالة في تقويم العرب قبل الاسلام وتحقيق مولد النبي وعمره عليه الصلاة والسلام ألفها باللغة الفرنساوية المرحوم محمود باشا الفلكي فاستحسنت صنيعها الحسن فعربتها رغبة في نشر المعارف وخدمة لابناء الوطن ورتبتها على مقدمة وقسمين وخاتمة والله المسؤل أن تكون بالحق والصدق قائمة

المقدمة

كان للدهر شغفا باسدال حجاب الجهل والخفاء على تاريخ القدماء بل لم تأخذه رهبة الامم القوية السلطان الرفيعة الشان التى تسنمت من الحضارة أعلى مكان وصار يشار اليها بالبنان بما اكتسبته من المجد الذى لا يمحوه الزمان فلذلك يجب على الاواخر للوقوف على ما كان عليه الاوائل أن يسألوا آثارهم الناطقة بما كان لهم من السودد والفخر وحيثما أخنى على هذه الآثار الدهر وعاملها مرور العصور بالجزء والشطر وعاقبها كرور الشهور بالقطع والبتر فلابد لمن يتصدى من أوائل الخلف لجمع أخبار السلف أن يتلقفوا الروايات التى تتناقلها الالسنة وتدور على أفواه الناس فى جميع الامكنة ثم يحرروها بمنظار البحث والاعتبار ويضعوها فى ميزان التحرى والاختبار ليميزوا بين غثها وسمينها فما استقر عليه

رأيهم يدوّنونه كتابا فى التاريخ على أن مثل هذا التاريخ لا يخلو من أن يكون مستورا بظلمات الاوهام محشوّا من سقط الكلام

ولقد كان المؤلفون من العرب فى صدر الاسلام على هذه الحالة فانهم لما لم يكن لديهم من الآثار ما يستنبطون منه صحيح الاخبار ويرجعون للتحقيق اليه ويعوّلون فى اعتماد النقل عليه التزموا التنقل من اقليم الى اقليم والتغرب من بلد الى بلد مهتمين برواية الحوادث القديمة والوقائع الماضية وسير الامم الغابرة التى سلمت من غوائل النسيان والتقطها الخطباء والشعراء وجعلوها موضوع رسائلهم النثرية ومنظوماتهم الشعرية

ولا يخفى أن مؤلفى العرب لم يبتدئوا فى تدوين التاريخ الا بعد الهجرة بقرنين أو ثلاثة وفى ذلك دليل كاف على معرفة الصعوبة العظيمة التى كابدوها للتوصل الى فهم كيفية التوقيت عند العرب بطريقة مضبوطة قوية وهذا هو ينبوع الخلاف والجدال ومصدر تشعب الآراء والاقوال فى كيفية التقويم عند أولئك الاقوام

فقد أجمع المؤرخون على أن الوثنيين من العرب كانوا يحسبون أوقاتهم بالسنة القمرية الشمسية ولكن ظواهر عبارات المفسرين وشراح الحديث الشريف وأئمة اللغة تفيد أن العرب لم يستعملوا البتة سوى السنين القمرية المبهمة وقد وقع هذا الخلاف بعينه بين علماء الافرنج فذهب الى الرأى الاول بوكوك وجانيير وغوليوس وبريدو وغيرهم والموسيو كوسان دو برسوال ورجح الثانى جماعة منهم الموسيو

سيلفستردوساسى اذجزم بأن العرب عموما وأهل مكة خصوصا لم يستعملوا فى حسابهم غير التقويم القمرى وقد جنح العلامة ايدلر الى هذا الرأى وقد اعتنى الموسيو سيلفستردوساسى (١) والموسيو كوسان دو برسوال (٢) ببسط هذه الآراء بسطا كافيا وشرحها شرحا وافيا

وليس البحث عن ترجيح أحد الرأيين وتفنيد الآخر مقصودا لذاته ولكن اهتمامى بتحقيق المباحث التى وضعت لاجلها هذه الرسالة ألزمنى البحث والتنقيب فى المؤلفات العربية والاجنبية عن الروايات والنصوص التى لها علاقة وارتباط بهذا الموضوع وقد رأيت أن أسرد هذه المواد معقبة بالنتائج التى استنبطتها منها أملا أن هذا العمل يميط النقاب ويجلو غياهب الارتياب عن هذه المسئلة التى لها أهمية عظيمة فى التقويم العربى

فلنشرع الآن فى ذلك على نمط بديع وأسلوب جديد غير متعرضين لترجيح أو تجريح صارفين النظر عن جميع الاقوال والآراء التى تصرح بوجود الحساب القمرى المحض أو الطريقة القمرية الشمسية مهما كان نوع الكبس وغير ملتفتين لكل ما يتعلق بكلمة

---

(١) راجع الجزء ٤٨ صحيفة ٦٠٦ وما تلوها من مجموعة رسائل جمعية الآداب

(٢) انظر الجزء الصادر فى ابريل سنة ١٨٤٣ من جرنال آسيا

نسي (١) فانها أيضا اليت من المواد الاساسية لهذا الموضوع ومن الدلائل والمستندات التي جمعتها تيسر لي تعيين يوم وفاة ابراهيم بن النبي عليه الصلاة والسلام وكذلك يوم دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة ويوم ولادته وكل ذلك باعتبار الحساب اليولياني

وحيث كانت الاشهر العربية التي وقعت فيها هذه الحوادث الثلاث (٢) معروفة أيضا فقد استنتجت بدون مشقة نوع التاريخ الذي كان مستعملا عند العرب عموما أو بالاقل عند عرب مكة قبل حجة الوداع بما يزيد على ستين سنة

وقد قسمت هذا الكتاب الى قسمين جمعت في الاول منهما الروايات والحجج التي بنيت عليها حسابي ومزجت في الثاني بين الدلائل وبعضها حتى توصلت لتعيين نوع التاريخ الذي كانت تستعمله العرب قبل الاسلام وتحديد عمر صاحب الشريعة الغراء وهما الغرض المقصود بالذات من هذه الرسالة

---

(١) النسيء معناه التأخير قال اللغويون وأرباب التفسير ان النسيء معناه تأخير حرمة شهر محرم الى آخر ويزعم المؤرخون أن النسيء معناه ضم شهر ثالث عشر الى السنة القمرية لتصيير شمسية وقد يطلق على الشهر المضاف نفسه

(٢) وقد عينت في القسم الثاني وقتين آخرين وهما خسوف قمري وانقلاب صيفي حدثا سنة ٥٤١ مسيحية فيكون مجموع الاوقات التي عينتها وجعلتها موضوع بحثي خمسة لا ثلاثة فقط

وأتبعت ذلك بخاتمة شرحت فيها المسئلة من حيثية أخرى بعد أن تفحصت ما قاله أقدم المؤلفين فى هذا الشان

القسم الاول

فى المباحث

المبحث الاول

فى تحديد يوم موت ابراهيم بن النبى عليه الصلاة والسلام بكسوف شمسى

روى البخارى الحديث الآتى — وانى أسرده مع شرحه الذى نقلته من كتاب الكسوف باختصار — وهو « (حدثنا عبد الله بن محمد) المسندى (قال حدثنا هاشم بن القاسم) هو أبو النصر الليثى (قال حدثنا شيبان أبو معاوية) النحوى (عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة) رضى الله تعالى عنه (قال كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات) ابنه من مارية القبطية (ابراهيم) بالمدينة فى السنة العاشرة من الهجرة كما عليه جمهور أهل السير فى ربيع الاول أو فى رمضان (فقال الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته) انتهى فعلى ما قاله هذا الشارح يكون موت ابراهيم فى ربيع الاول أو فى رمضان من السنة العاشرة للهجرة *

وفى السيرة الحلبية فى باب أولاد النبى صلى الله عليه وسلم ما يأتى

« وفى سنة ثمان من الهجرة فى ذى الحجة ولدت له صلى الله عليه وسلم مارية القبطية رضى الله عنها ولدها ابراهيم ومات سنة عشر من الهجرة واختلف فى سنه فقيل سنة وعشرة أشهر وستة أيام وقيل ثمانية عشر شهرا ولما كسفت الشمس فى ذلك اليوم قال قائل كسفت لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكسف لموت أحد ولا لحياته وفى لفظ ان الشمس والقمر آيتان من ايات الله يخوف الله بهما عباده فلا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته » انتهى

وعلى هذه الرواية تكون ولادة ابراهيم فى شهر ذى الحجة وقد درج هذا الرأى كثير من العلماء الراسخين والافاضل الباحثين ففى الجزء الثالث من تاريخ العرب للموسيو كوسان دو برسوال ما معربه

« وعاد محمد (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة فى أواخر ذى القعدة وبعد رجوعه بأيام قليلة أعنى فى أوائل ذى الحجة (آخر مارث سنة ٦٣٠ مسيحية) رزق بغلام من سريته مارية القبطية » انتهى

فقد اتضح مما تقدم أن كافة المؤرخين على أن ولادة ابراهيم كانت فى ذى الحجة من السنة الثامنة للهجرة ولكنهم اختلفوا فى عمره فقيل سنة وعشرة أشهر وستة أيام (١) وقيل ثمانية عشر شهرا فقط فاما القول الاخير فلا يلتفت اليه اذ ينبنى عليه أن موت ابراهيم كان فى جمادى الثانية ولا قائل به وأما الرأى الاول فانى أعتبره الاصح

(١) وقال المسعودى فى مروج الذهب انه عاش سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام

الذى يجب أن لا يعوّل على سواه لاننا اذا حسبنا سنة وعشرة أشهر وستة أيام مبتدئين بغرة ذى الحجة من السنة الثامنة للهجرة لوصلنا الى شهر شوّال من السنة العاشرة الهجرية وهذا أقرب لما نص عليه شارح الحديث السابق الذى جعل موت ابراهيم فى شهر رمضان فانه لا يفترق عنه الا بشهر واحد وعلى ذلك يكون موت ابراهيم اما فى شهر رمضان واما فى شهر شوّال فلاجل تعيين أىّ الشهرين وقعت فيه الوفاة يلزمنا أن نستعين باعتبارات وملحوظات فلكية

فمن المعلوم أن سير الاشهر العربية القمرية الاسلامية لم يتخلله قط نسىء أى زيادة شهر فى آخر السنة منذ العام العاشر من الهجرة الى الآن وعلى ذلك لو فرضنا وقتا معينا على الحساب العربى ورجعنا بالحساب القهقرى نجد بمقتضى الحسابات الفلكية أن الكسوف وقع حقيقة فى المدينة المنورة فى أواخر شوّال ولا يجوز وقوعه فى شهر رمضان فتحقق اذن أن موت ابراهيم كان فى شوّال

وقد تتبعت حسابا دقيقا فاتضح لى منه أن الشمس كسفت فى المدينة المنوّرة (١) فى الساعة ٨ والدقيقة ٣٠ بعد نصف الليل من يوم ٢٧ ينايرسنة ٦٣٢ م

---

(١) وكان أعظم نور الشمس فيها عشرة أصابع ونصفا تقريبا ولكون خطوط الطول والعرض للمدينة المنورة غير معينة تعيينا خاصا بها فقد اخترت لحسابى ٣٧° ٢٩َ لطول شرقى خط نصف لنهار المار بباريس و ٢٤° ٥٥َ للعرض الشمالى كما يتبين من الخرط الجديدة

وبناء على ذلك يكون اليوم التاسع والعشرون من شوال من السنة العاشرة للهجرة موافقا اليوم السابع والعشرين من يناير سنة ٦٣٢ فهذه مسئلة فلكية قد توصلنا الى تحقيقها فاجعلها على بال منك

المبحث الثانى

فى تعيين وقت الهجرة

روى صاحب السيرة الحلبية الحديث الآتى

« وفى كلام الحافظ ناصر الدين عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة يوم عاشوراء (١) فاذا اليهود صيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا قالوا هذا يوم أغرق الله تعالى فيه فرعون ونجى فيه موسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أولى بموسى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصومه هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم والمدينة يحتمل أن المراد بها قباء ويحتمل أن المراد بها باطنها »

فلاجل أن نقف على الفائدة التى تضمنها هذا الحديث يلزم معرفة مايعنون بعاشوراء الذى يوافق دخول النبى المدينة فاذا جرينا على عرف الاسلام من أن عاشوراء هى العاشر من شهر الله الحرام يكون

---

(١) عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر محرم عند المسلمين ويظهر أن اليهود من العرب كانوا يسمون أيضا بعاشوراء اليوم العاشر من شهر تشرى الذى هو أول شهور سنتهم المدنية وسابع شهور السنة الدينية عندهم

الحديث مناقضا لما جاء من أن الهجرة كانت فى شهر ربيع الاول على ما نطقت به الروايات الصحيحة فمن الضرورى اذن أن نعرف هل كانت كلمة عاشوراء تطلق فى عصر النبوة على وقت آخر من السنة غير العاشر من المحرم وما سنورده عليك من النصوص والادلة يعين لنا اليوم الحقيقى المعنى من لفظ عاشوراء الذى أسدل على هذا الحديث حجب الابهام وأوقع الافهام فى أوهام بل ان ذلك هو الذى حمل صاحب السيرة الحلبية على تعقيب روايته السابقة بقوله

وفى كونه صلى الله عليه وسلم وجدهم صائمين لذلك اليوم اشكال لان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم أو هو اليوم التاسع منه كما يقول ابن عباس فكيف يكون فى ربيع الاول وأجيب بأن السنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشوراء الذى كان عاشر المحرم واتفق فيه غرق فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم بل اتفق أنه فى ذلك الزمن أى زمن قدومه صلى الله عليه وسلم كان وجود ذلك اليوم بدليل سؤاله صلى الله عليه وسلم اذ لو كان ذلك اليوم يوم عاشوراء ما سأل ومما يؤيد ذلك ما فى المعجم الكبير للطبرانى عن خارجة بن زيد عن أبيه قال ليس يوم عاشوراء الذى يقول الناس انما كان يوم تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور فى السنة وكان الناس يأتون فلانا اليهودى فيسألونه فلما مات اليهودى أتوا زيد بن ثابت فسألوه »

فقد ظهر من هـذا أن يوم عاشوراء الذي نحن بصدده هو يوم معـين في السنة القمرية الشمسية عند اليهود وعرب مكة وبقي علينا أن نعرف في أي شهر وفي أي يوم كان دخوله عليه الصـلاة والسـلام المدينة المنورة

قال البيروني في كتاب الآثار ما يأتي

« وقد قيـل ان عاشوراء عبراني معرب يعـني عاشور وهو العاشر من تشري اليهود الذي صومه صوم الكبور وانه اعتـبر في شـهور العرب فجعـل في اليوم العاشر من أول شهورهـم كما هو اليوم العاشر من أول شهور اليهود » فمن جميع ما ذكر ينتج أن النبي صلى الله عليه وسـلم دخل المدينة في ١٠ تشري وقد فرض في التوراة صوم هـذا اليوم ولا يزال اليهود الى هـذا العهـد يحافظون على صـيامه ويتقربون باكرامه

وعندي أن هذه النتيجة هي عين الحقيقة وأن ما ورد من أن ذلك اليوم كان يوم اثنين حق لا مرية فيه ولتعيين وقت تلك الحادثة في التقويم الميلادي لا يلزمنا سوى البحث عما يقابل اليوم العاشر من سنة اليهود (١) في أيام سـنة ٦٢٢ مسيحية فانه لا مشاحة في أن الهجرة وقعت في خلال هذه السنة

والذي يتضح من الحساب (٢) ان هذا اليوم كان موافقا العشرين

(١) وهي سنة ٤٣٨٣ من الخليقة كما هو حسابهم (٢) راجع رسالة المؤلف في تقويم اليهود في الجزء ٢٦ من مجموعة رسائل العلماء الأجانب بجمعية البلجيكا الملوكية

من

من سبتمبر وهذا هو اليوم الثامن من الشهر القمري باعتبار الانفصال وذلك لان اجتماع النيرين كان في يوم السبت ١١ سبتمبر بعد نصف الليل بساعة تقريبا على حساب باريس (١) ولم يتيسر للناس رؤية الهلال بالعين المجردة الا في مساء الاحد من ١٢ الى ١٣ سبتمبر حتى صار حساب يوم الاثنين ١٣ سبتمبر أول الشهر الهلالي

وقد اختلف الرواة وأصحاب السير في يوم دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة أهو اليوم الثاني أم الثامن أم الثاني عشر من ربيع الاول كما أنهم اتفقوا على أن هذا اليوم كان يوم اثنين وعندي أن أرجح هذه الايام مايدل الحساب على أنه كان يوم اثنين وحيث ان الحساب لا يؤدي البتة الى أن الثاني أو الثاني عشر من ربيع الاول المذكور كان يوم اثنين تعين بالضرورة ان الثامن هو يوم وقوع الحادثة وتكون الخلاصة أن الهجرة أو دخول النبي عليه الصلاة والسلام المدينة كان في يوم الاثنين ثامن ربيع الاول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ للميلاد و ١٠ تشري سنة ٤٣٨٣ للخليقة

وأرى من المفيد قبل تجاوز هذا الموضوع أن أتبع ما تقدم ببعض ملحوظات لها ارتباط بالحديث الاصلي ولينتبه القارئ الى أن تكرر هذا الحديث جملة مرار عن مصادر مختلفة في صحيحي البخاري ومسلم يمكن اعتباره برهانا على صحته غير أن في بعضه مخالفة لما جاء في التوراة وذلك في قوله « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا

---

(١) وقبل نصف الليل بساعة ونصف تقريبا على حساب المدينة

قالوا هذا يوم أغرق الله تعالى فيه فرعون ونجى موسى » فانه يناقض ماجاء فى كتاب اليهود من أن موسى عليه الصلاة والسلام عبر البحر الاحمر فى اليوم الحادى والعشرين من نيسان وهو اليوم السابع بعد فصح اليهود وقد حققت لك فى شرح الحديث أن هذا اليوم كان العاشر من شهر تشرى

فهل يؤخذ من عدم موافقة الحديث لما جاء فى التوراة عدم صحته كلا ثم كلا ولكن ابن عباس رضى الله عنهما لم ينقل الا ما رآه وسمعه من بعض يهود لا شك فى قلة معرفتهم وغاية ما ينتج من ذلك انهم كانوا يجهلون سبب فرض الصيام فى هذا اليوم أى العاشر من تشرى على أن هذه العبارة المخالفة لما ورد فى التوراة ساقطة بالكلية فيما رواه البخارى فى موضع آخر من طريق أبى موسى أحد مشاهير الصحابة الاعلام حيث قال

« حدثنا أحمد أو محمد بن عبد الله الغدانى قال حدثنا حماد بن أسامة قال حدثنا أبو عميس عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن أبى موسى قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم المدينة واذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء ويصومونه فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحن أحق بصومه فأمر بصومه »

هذا ولم يتيسر لبعض العلماء فهم حقيقة الحديث على الوجه الذى بينا فزلت أقدامهم وأتوا بما ينكره العقلاء وخبطوا خبط عشواء فى ليلة ليلاء حيث جزموا بأن الهجرة كانت فى العاشر من محرم وأن ذلك

اليوم كان العاشر من تشرى وقد أثبت البيرونى صاحب كتاب الآثار استحالة هذا التوافق الذى انبنى عليه الرأى المذكور وبين فساد مازعموا ورشقهم بسهام التخطىء والتفنيد حتى كاد يطعن فى صحة رواية ابن عباس رضى الله عنهما وهاك ما قاله فى هذا الشان

« وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء فسألهم عنه فأخبروه أنه اليوم الذى أغرق الله فيه فرعون وآله ونجى موسى ومن معه فقال عليه الصلاة والسلام نحن أحق بموسى منهم فصام وأمر أصحابه بصومه فلما فرض صوم شهر رمضان لم يأمرهم ولم ينههم » وهذه الرواية غير صحيحة لان الامتحان يشهد عليها وذلك أن أول المحرم كان سنة الهجرة يوم الجمعة السادس عشر من تموز سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة للاسكندر فاذا حسبنا أول سنة اليهود فى تلك السنة كان يوم الاحد الثانى عشر من أيلول ويوافقه اليوم التاسع والعشرون من صفر ويكون صوم عاشوراء يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الاول وقد كانت هجرة النبى عليه الصلاة والسلام فى النصف الاول من ربيع وسئل عن صوم يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وبعثت فيه وأنزل على فيه وهاجرت فيه ثم اختلف فى أى الاثانين كانت الهجرة فزعم بعضهم أنها فى اليوم الثانى من ربيع الاول وزعم بعضهم أنها فى اليوم الثامن منه وزعم آخرون أنها فى اليوم الثانى عشر منه والمتفق عليه الثامن ولا يجوز أن يكون الثانى ولا الثانى عشر لانهما ليسا بيوم اثنين من

أجل أن أول ربيع الاول فى تلك السنة كان يوم الاثنين فيكون على ماذكرنا قدوم النبى عليه الصلاة والسلام المدينة قبل عاشوراء بيوم وليس بمتفق وقوعه فى المحرم الاقبل تلك السنة ببضع سنين أو بعدها بنيف وعشرين سنة فكيف يجوز أن يقال ان النبى عليه الصلاة والسلام صام عاشوراء لاتفاقه مع العاشر فى تلك السنة (الابعد أن نقل من أول شهور اليهود الى أول شهور العرب نقلا لاتفاقه معه) وكذلك فى السنة الثانية من الهجرة كان العاشور يوم السبت من أيلول والتاسع من ربيع الاول فاذكروه من اتفاقهما حينئذ محال على كل حال

وأما قولهم ان الله أغرق فرعون فيه فقد نطقت التوراة بخلافه وقد كان غرقه فى اليوم الحادى والعشرين من نيسان وهو اليوم السابع من أيام الفطير وكان أول فصح اليهود بعد قدوم النبى المدينة يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من أذار سنة ثلاث وثلاثين (١) وتسعمائة للاسكندر ووافقه اليوم السابع عشر من شهر رمضان واليوم الذى أغرق الله فيه فرعون كان اليوم الثالث والعشرين من شهر رمضان فاذن ليس لما رووه وجه البتة » انتهى كلام البيرونى

ومنه يظهر لى انه وقع فيما طعن به على العلماء اذما آل أقواله كما تعرف أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل المدينة فى يوم عاشوراء اليهود وأن

(١) عدد ثلاث وثلاثين خطأ وصوابه أربع وثلاثين فتأمل

هـذا اليوم هو يوم عاشوراء المسلمين وأن الله نجى موسى صلى الله عليه وسلم في مثل هذا اليوم

وذلك لانه قال « وهذه الرواية غير صحيحة لان الامتحان يشهد عليها » واستدل على ذلك بثلاثة وجوه الاول عدم توافق العاشوراوين الثاني أن عاشوراء اليهود كان يوم الثلاثاء وأما دخول النبي عليه الصلاة والسلام المدينة فقد كان يوم الاثنين الذى قبله الثالث أن نجاة موسى عليه الصلاة والسلام من الغرق لم تكن فى مثل هذا اليوم

وهذه الاوجه التى استدل بها على عدم صحة الحديث لاتثبت مدعاه ولاتقوم برهانا على مارآه وكيف تفيد الثبوت وهى أوهى من بيت العنكبوت وستنجلى لك حقيقة المسئلة فيما سنورده عليك من القول المبين فألق السمع وكن من المتبصرين

أما الوجه الاول وهو عدم توافق العاشوراوين فليس برهانا على عدم صحة الحديث فانه لم يشر الى ذلك قط وجل ما يتضح من عدم التوافق المذكور خطأ الذين زعموا أن الحديث يفيد توافق العاشوراوين مع تأييدهم صحة الحديث هذا وان البيرونى نفسه لم يورد ذلك الا ليثبت استحالة التوافق وان ظهر من سياق كلامه القدح فى الحديث من غير حق ولا برهان

وأما الوجه الثانى فغير صحيح أيضا لاننا لو راجعنا حسابه لاتضح لنا منه تقوية الحساب لاتضعيفه وذلك أننا اذا دققنا الحساب يظهر لنا أن

أوّل يوم من تشرى سنة اليهود التى كان أوّلها فى خلال السنة الاولى من الهجرة هو يوم السبت ١١ أيلول (١١ سبتمبر الموافق غاية صفر) وليس يوم الاحد ١٢ أيلول كما قاله البيرونى فنتج من ذلك أن عاشوراء أو العاشر من تشرى هو يوم الاثنين ٨ ربيع الاوّل لا يوم الثلاثاء ٩ منه كما زعمه

وأما الوجه الثالث فقد سبق لنا الكلام عليه فى هذا المبحث وبينا انه لا يضر بصحة الحديث أبدا

فقد تبين لك مما سردناه أن لا وجه للبيرونى فيما أبداه فى هذه الاوجه الثلاثة فيؤول كلامه الى اتحاده مع من ردّ عليهم وبالغ فى تفنيد أقوالهم كما قدمنا

وفضلا عن ذلك يمكننا أن نثبت بطرق أخرى أن دخول النبى عليه الصلاة والسلام المدينة كان حقيقة فى ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ الموافق للعاشر من تشرى الذى هو يوم عاشوراء عند اليهود

الطريق الاولى — قال المسعودى فى مروج الذهب " وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الايام ثلاثة آلاف وستمائة وأربعة وعشرون يوما "

ولقد أجمعوا على أن دخول النبى صلى الله عليه وسلم كان فى اليوم السابع والستين بعد اليوم الاوّل من المحرم الذى هو أوّل شهور التاريخ الهجرى وحينئذ يكون الفرق بين تاريخ الهجرة وتاريخ

يزدجرد هو ثلاثة آلاف وستمائة وأربعة وعشرون يوما مطروحا منها سبعة وستون يوما أعنى ٣٦٢٤ - ٦٧ = ٣٥٥٧

وحيث كان أول تاريخ يزدجرد يوم الثلاثاء ١٦ يونيو سنة ٦٣٢ مسيحية (بعد موته صلى الله عليه وسلم بثمانية أيام أو تسعة) فيكفى لمعرفة اليوم اليوليانى المقابل ليوم الهجرة أن نحسب ٣٥٥٧ يوما راجعين الى خلف من ابتداء ١٦ يونيو سنة ٦٣٢ مسيحية فبعد انتهاء العملية نجد أنه هو يوم ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ عيسوية وهو يوم اثنين فثبت من ذلك أن دخول النبى صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة كان يوم الاثنين ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ من الميلاد وهذا اليوم يوافق ١٠ تشرى عند اليهود

الطريق الثانيـة ـ رأيت فى آخر أحد الكتب العربيـة المحفوظ بنمرة ١١٣١ بقاعة تكملة الكتب العربية بكتبخانة باريس الاهلية العبارة الآتية

« ان بين أول يوم من السنة التى (فيها) حلت الشمس أول دقيقة من الحمل (أو وقت حصول الاعتدال الربيعى) من سنة انتقال الممر الدال على الملة (وهو اقتران المشترى بزحل الذى سبق ولادته عليه السـلام) و بين أول يوم من سـنة الهجرة تا سـنة فارسية (أعنى احدى وخمسين سنة فارسية) وأربعة أشهر وثلاثة (صوابه ثمانية) أيام وست عشرة ساعة »

أقول ان الاعتـدال الربيعى المشار اليه أعقبه قران المشـترى بزحل

وبالحساب يتضح لنا أنه وقع قبل ولادته صلى الله عليه وسلم قران في يوم ٢٩ أو ٣٠ مارث سنة ٥٧١ مسيحية كما سنبينه فيما بعد وقد ظهر لي من الحساب أن الاعتدال وقع في ١٩ مارث سنة ٥٧١ الساعة ١٥ والدقيقة ١١ بعد نصف الليل على حسب الزمن الوسطى للمدينة المنورة فيكون حينئذ أول يوم من شهر المحرم سنة الهجرة هو بعد يوم ١٩ مارث و ١٥ ساعة و ١١ دقيقة من سنة ٥٧١ مسيحية باحدى وخمسين سنة فارسية وأربعة شهور وثمانية أيام وست عشرة ساعة وحيث ان السنة الفارسية تساوى ٣٦٥ فاذا حولنا تلك المدة الزمنية الى أيام تحصل ١٨٧٤٣ يوما و ١٦ ساعة أو ١٨٧٤٤ يوما بعد جبر الكسر وحيث ان الهجرة حصلت بعد ابتداء المحرم بشهرين وثمانية أيام فيكون بين الهجرة وبين الاعتدال الربيعي المذكور ١٨٧٤٤ × ٦٧ يوما أى ١٨٨١١ يوما وقد علمت أن الاعتدال الربيعي كان في ١٩ مارث سنة ٥٧١ مسيحية وذلك يجعل الهجرة في يوم الاثنين ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ مسيحية الموافق ١٠ تشرى الذي هو يوم صوم الكبور عند اليهود

المبحث الثالث

(في مولد النبي صلى الله عليه وسلم)

لقد اضطرني عدم وجود روايات قاطعة بتعيين يوم ولادته صلى الله

عليه

عليه وسلم الى أن أسرد فى هذا المبحث جملة أدلة ونصوص لها ارتباط بهذا الخصوص

الدليل الاول جاء فى الجزء الاول من السيرة الحلبية ما يأتى

« عن قتادة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وذكر ابن بكار والحافظ بن عساكر أن ذلك كان حين طلوع الفجر ويدل له قول جده عبد المطلب ولد لى الليلة مع الصبح مولود وعن سعيد بن المسيب ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابهيرار النهار أى وسطه وكان ذلك اليوم لمضى ثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الاول أى وكان فى فصل الربيع وقد أشار لذلك بعضهم بقوله

يقول لنا لسان الحال منه ✻ وقول الحق يعذب للسميع

فوجهى والزمان وشهر وضعى ✻ ربيع فى ربيع فى ربيع

قال وحكى الاجماع عليه وعليه العمل الآن أى فى الامصار خصوصا أهل مكة فى زيارتهم موضع مولده صلى الله عليه وسلم وقيل لعشر ليال مضت من ربيع وصحح أى صححه الحافظ الدمياطى وقيل ولد لسبع عشرة ليلة خلت منه وقيل لثمان مضت منه قال ابن دحية وهو الذى لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ »

فبناء على ذلك يكون مولده عليه الصلاة والسلام فى فصل الربيع فى الثامن أو العاشر أو الثانى عشر من شهر ربيع الاول على ما قاله الثقات الذين يعتمد على صحة آرائهم ويركن الى أقوالهم

الدليل الثاني   جاء في الكتاب السابق ذكره ما يأتي أيضا
" قالت حليمة فقدمنا مكة على أمه صلى الله عليه وسلم أي بعد أن بلغ سنتين ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته صلى الله عليه وسلم فكلمنا أمه وقلنا لها دعينا نرجع به هذه السنة الاخرى فاني أخشى عليه وباء مكة أي مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردته صلى الله عليه وسلم معنا   قالت حليمة فرجعنا به صلى الله عليه وسلم فوالله انه بعد مقدمنا به صلى الله عليه وسلم بأشهر (وعبارة ابن الاثير بعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة) مع أخيه (يعني من الرضاعة) لفي بهم لنا (ولعل هذا لا ينافيه قول المحب الطبري فلما شب وبلغ سنتين لانه ألغى الكسر) فبينما هو صلى الله عليه وسلم وأخوه في بهم لنا خلف بيوتنا (والبهم أولاد الضأن) اذ أتى أخوه يشتد أي يعدو فقال لي ولابيه ذاك أخي القرشي صلى الله عليه وسلم قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه قالت حليمة فرجعنا به الى خبائنا أي محل الاقامة وقال لي أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه بأهله قبل أن يظهر به ذلك قالت فحملناه فقدمنا به مكة على أمه "

وفي موضع آخر من السيرة قال ما يأتي : " وعن حليمة رضي الله تعالى عنها أنها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة لا تدعه أن يذهب مكانا بعيدا عنها فغفلت عنه يوما في الظهيرة فخرجت

تطلبه فوجدته مع أخته من الرضاعة وهى الشيماء وكانت ترقصه بقولها

هذا أخ لى لم تلده أمى * وليس من نسل أبى وعمى

* فأنمه اللهم فيما تنمى *

فقالت فى هذا الحر أى لا ينبغى أن يكون فى هذا الحر » فيتضح من ذلك أن هذه الحادثة وقعت بعد عودتها به صلى الله عليه وسلم من مكة والرواية الاولى تدل على أن عمره صلى الله عليه وسلم كان فى ذلك الوقت سنتين وأنه ردّ لامه بعد أن بلغ سنتين وبضعة شهور (شهرين أو ثلاثة فى قول ابن الاثير) وهذا يدل على أن سنه لا ينقص عن سنتين ولا يزيد عن سنتين وثلاثة أشهر حينما أخرجته أخته من الرضاع فى وقت الحر الشديد الذى خشيت منه الضرر عليه مرضعته حليمة رضى الله عنها فلا شك أن ذلك كان فى فصل الصيف أو فى وقت قريب منه جدا ومن هذا ينتج أن ولادته صلى الله عليه وسلم كانت فى فصل الربيع

وفى رأيى أن هذه النتيجة أقرب للصحة وأوفق لما جاء فى الدليل الاوّل وما سيجىء فى الدلائل التالية

الدليل الثالث قال الشيخ الامام شمس الدين محمد بن سالم المعروف بالخلال فى كتاب الجفر الكبير ما يأتى

« وقد صح أن النبى عليه الصلاة والسلام ولد فى شهر ربيع الاوّل فى العشرين من نيسان عام الفيل فى عهد كسرى أنوشروان فلما أتت

عليه أربعون سنة ويوم بعثه الله وذلك في يوم الاثنين فلما أتت له ثلاث وخمسون سنة هاجر الى المدينة »

وحيث ان شهر نيسان المذكور في هذه العبارة يوافق دائماً شهر ابريل فقد ثبت أن ولادته عليه الصلاة والسلام كانت في فصل الربيع

الدليل الرابع قال المسعودي في مروج الذهب ان ولادته عليه الصلاة والسلام كانت في سنة ٨٨٢ للاسكندر واليك نص عبارته « والذي صح من مولده عليه الصلاة والسلام انه كان بعد قدوم أصحاب الفيل مكة بخمسين يوما وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وثمانين من عهد ذي القرنين وكان قدوم أبرهة مكة لسبع عشرة خلت من المحرم ولست عشرة ومائتين من تاريخ العرب الذي أوله حجة الغدر ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان وكان مولده عليه الصلاة والسلام لثمان خلون من ربيع الاول من هذه السنة بمكة »

فالوقت الذي عينه المسعودي لولادته عليه الصلاة والسلام واقع في خلال سنة ٥٧١ م

الدليل الخامس قال موسيو كوسان دو پرسوال في صحيفة ٢٨٣ من الجزء الثاني من تاريخ العرب ما تعريبه

« قال ابن الاثير أحد الرجال المترجمين في تاريخ الخميس ان كسرى حكم مدة سبع وأربعين سنة وثمانية أشهر (ومؤرخو الروم يذكرون أيضا هذه المدة غير أنهم يفترقون عن مؤرخي العرب في شهر واحد

فقط) وذكر ابن الاثير أن كسرى عاش سبع سنين وثمانية أشهر بعد ولادته عليه الصلاة والسلام »

وحينئذ يكون كسرى حكم أربعين سنة قبل العهد ولادة النبي صلى الله عليه وسلم

وحيث ان هذا الملك جلس على عرش السلطنة فى سنة ٥٣١ مسيحية تكون ولادته عليه الصلاة والسلام فى سنة ٥٧١ مسيحية

الدليل السادس صرح جرجس بن أبى الياس بن أبى المكارم بن أبى الطيب المعروف بابن العميد فى كتابه المسمى مختصر التواريخ أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) بلغ الثامنة من عمره وقت أن مات كسرى أنوشروان

وحيث ان وفاة هذا الملك كانت فى سنة ٥٧٩ مسيحية على ماذكره صاحب (فى تحقيق التواريخ) حيث قال فى صحيفة ٤٠٨ مامعربه « وفى سنة ٥٧٩ مات كسرى بمدينة كتيسيفون فى حدود شهر مارث » فيكون عمره عليه الصلاة والسلام ثمانى سنين فى حدود شهر مارث من هذه السنة وعلى ذلك تكون ولادته فى حدود هذا الشهر من سنة ٥٧١ مسيحية

الدليل السابع ذكر العلامة ايدلر فى رسالة له فى الكرونولوجيا الرياضية (أنه صلى الله عليه وسلم ولد فى ٢٢ نيسان سنة ٥٧١

من تاريخ الاسكندر كما نص عليه ابن العميد (١)
ولا يخفى أن شهر نيسان السرياني يقابل شهر ابريل الافرنجي وحينئذ يكون مولده صلى الله عليه وسلم في ٢٢ ابريل سنة ٥٧١ مسيحية

الدليل الثامن ذكر الموسيو سيلفستر دوساسي بناء على ما قاله غانيير (في مقالات جمعية الطرائف والآداب بالجزء ٤٨ صحيفة ٥٣٠) ما يأتي

« ولادة النبي صلى الله عليه وسلم الساعة السادسة من ليلة الاثنين العشرين من نيسان سنة ٨٨٢ للاسكندر »

أقول ان هذا اليوم يوافق ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ مسيحية

ويظهر أن علماء الهيئة الشرقيين قد اتفقوا على جعل ولادته صلى الله عليه وسلم في شهر ابريل سنة ٥٧١ مسيحية وقالوا انها كانت بعد اقتران المريخ بزحل في برج العقرب

وقد حسبت موقع هذين الكوكبين مستعينا بزيج الموسيو بوفارد فاتضح لي أن في أول ابريل سنة ٥٧١ كان المشترى في ٥° ٢ً

---

(١) وهذه عبارة ابن العميد بحروفها
قال انه صلى الله عليه وسلم ولد ببطحاء مكة في الليلة المسفرة عن صباح يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الاول يوافقه من شهور الروم الثاني والعشرون من نيسان سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة للاسكندر ذي القرنين

من برج العقرب (١) وأن زحل كان فى ٥° ١٧′ من البرج المذكور وقد كانت حركة هذين الكوكبين متقهقرة ولابد أن القران حصل فى ٢٩ أو ٣٠ مارث سنة ٥٧١ وهـذا القران يسمى عند علماء الهيئة من أهل المشرق قران ملة الاسلام أوقران الملة فقط واليك بعض شـذرات من أقوال الفلكيين الشرقيـين ليتحقق لك اتفاقهم على أن ولادته عليـه الصلاة والسـلام كانت فى شهر ابريل سنة ٥٧١ مسيحية

الدليل التاسع قال يحيى بن أبى شكر المغربى الاندلسى فى أحد تآليفه ما يأتى

„ أقول ان سنة ولادة النبى صلى الله عليه وسلم اتفقت عام الفيل وهى سنة ٨٨٢ للاسكندر وفيها كان قران بين زحل والمشـترى فى برج العقرب قبل الولادة بقليل "

فبناء على ذلك يكون مولده عليه الصلاة والسلام بعد يوم ٣٠ مارث سنة ٥٧١ مسيحية كما سبق بيانه

(١) وهاك نتائج حسابى بالضبط والتدقيق عن أول ابريل سنة ٥٧١ مسيحية

السيارات	الطول الشمسى	العرض الشمسى	الطول الارضى	العرض الارضى
المشترى	٢١٠° ٥٧′ ٢١″	١° ٩′ ٤″ ب	٢١٥° ٢′ ٢٥″	١° ٢٣′ ٥٠″ ب
زحل	٢١٣° ٤′ ٤″	٢° ٢٢′ ٣″ ب	٢١٥° ١٦′ ٤٧″	٢° ٣٦′ ٤٠″ ب

الدليل العاشر قال صاحب منتهى الادراك في تقاسيم الافلاك مايدل على ماقدمناه ويوافق ماأوردناه وهذا نص عبارته

« ولد النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الاولى من القران الدال على ملة الاسلام »

وقد عرفنا مما تقدم أن هذا القران وقع في ٢٩ أو ٣٠ مارث سنة ٥٧١ مسيحية فتكون ولادته عليه الصلاة والسلام في هذه السنة

الدليل الحادى عشر ذكر صاحب كتاب الكامل في أسرار النجوم والشيخ أحمد بن عبد الجليل في آخر كتاب القرانات مايوافق العبارات التي سردناها والاقوال التي استشهدنا بها حيث بين كل منهما أن مولده صلى الله عليه وسلم كان في سنة ٥٧١ مسيحية بعد التاسع والعشرين من شهر مارث بقليل وقد علمت انه اليوم الذى حصلت فيه الحادثة السماوية المذكورة آنفا

الدليل الثانى عشر وقبل أن أختم الكلام في هذا المقام يجمل بى أن أطلعك على أقوال المؤرخين ومذاهبهم في هذا الشان

قال المسعودى وصاحب مجمل التواريخ وغيرهما ان ولادته عليه الصلاة والسلام كانت في السنة الاربعين من حكم كسرى أنوشروان وذهب آخرون كحمزة الاصفهانى وغيره الى أنها حصلت في السنة الحادية والاربعين من حكم هذا الملك ويمكن الجمع بين الرأيين والتوفيق بين القولين بأن هؤلاء الثقات لم يعينوا يوم ولادته من السنة

فيصح أن يقال ان أصحاب الرأى الاوّل أرادوا آخر السنة الاربعين وأصحاب الرأى الثانى قصدوا أوّل السنة الحادية والاربعين من حكم ملك الفرس الاكبر

وبهذا يتضح لك اتفاق المذاهب اتفاقا ذاتيا وان اختلفت فى شهر أو شهرين حيث انها قد أقرت على جعل سنة ٥٧١ مسيحية عام المولد النبوى الشريف

هذا وأزيدك علما أن أبا الفداء جعل ولادته عليه الصلاة والسلام فى سنة ٨٨١ للاسكندر وفى سنة ١٣١٦ من تاريخ بختنصر وقال انها توافق الثانية والاربعين من حكم كسرى أنوشروان

ولكن سنة ٨٨١ للاسكندر كان مبدؤها أوّل اكتوبر سنة ٥٦٩ مسيحية مع أن سنة ١٣١٦ لبختنصر تنتهى فى ٢ ابريل سنة ٥٦٩ المذكورة فظهر أن توافق هاتين السنتين ضرب من المحال اذ لا يمكن بحال وعليه فلا عبرة بما قاله أبو الفداء فى هذا الشان لاسيما وانه كثيرا ما تتناقض أقواله ويتضارب كلامه ألا ترى أن ما قاله هنا لا يوافق ما قاله فى صحيفة ١٤ من سيرته التى طبعها الموسيو غانيير حيث قال ما مفاده انه صلى الله عليه وسلم بعث عندما بلغ الاربعين من عمره أى فى سنة ٩٢٢ للاسكندر وبناء على قوله هذا تكون ولادة النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة ٨٨٢ من تاريخ الاسكندر أى فى سنة ٥٧١ مسيحية

هذا وانى أعتمد صحة التوافق الذى ظهر من هذه الاقوال المختلفة

والآراء المتعددة ولا يسعني الا الجزم بأن ولادته عليه الصلاة والسلام كانت في فصل الربيع من سنة ٥٧١ مسيحية وحيث ان بعض هذه الاقوال تصرح بأن شهر ابريل هو شهر المولد النبوي الشريف والبعض الآخر يدل عليه فاني أعتبره شهر الولادة

وبقي علينا الآن أن نبين في أي يوم من شهر ابريل كانت الولادة فنقول ان الاجتماع الحقيقي للقمر حصل في شهر ابريل سنة ٥٧١ في يوم ١١ الساعة ٩ والدقيقة ٤١ بعد نصف الليل على حساب الزمن الوسطي لمكة المشرفة (١) ولم يمكن رؤية الهلال بالعين المجردة الا في مساء هذا اليوم وحينئذ يلزم أن الشهر القمري العربي كان مبدؤه يوم الاحد ١٢ ابريل وقد قال الثقات ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد في ٨ أو ١٠ أو ١٢ من شهر ربيع الاول كما تقدم في أول المبحث وقد اتفقوا جميعا على أن الولادة كانت في يوم اثنين وحيث انه لا يوجد بين الثامن والثاني عشر من هذا الشهر يوم اثنين سوى اليوم التاسع منه فلا يمكن قط أن نعتبر يوم الولادة خلاف هذا اليوم

ويتلخص من هذا أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد في يوم الاثنين ٩ ربيع الاول الموافق ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ مسيحية فاحرص على هذا التحقيق ولا تكن أسير التقليد

---

(١) وقد اعتبرت طول هذا البلد ٤٥" ٥٤' ٣٧° شرقي خط نصف النهار المار بباريس وعرضها ١٧" ٢٨' ٢١° من العروض الشمالية

القسم

القسم الثانى

فى التاريخ عند الجاهلية

وفى عمره صلى الله عليه وسلم

المبحث الاوّل

فى التاريخ عند الجاهلية

بعد معرفة الثلاثة الاوقات التى عيناها فى القسم الاوّل من هذا الكتاب لا يصعب علينا معرفة طريقة التوقيت التى كانت مستعملة عند عرب الحجاز عموما وأهل مكة خصوصا والاوقات المذكورة هى

أوّلا — ٢٧ ينايرسنة ٦٣٢ مسيحية الموافق ٢٩ من شهر شوّال

ثانيا — ٢٠ سبتمبرسنة ٦٢٢ مسيحية الموافق يوم الاثنين ٨ ربيع الاوّل

ثالثا — ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ الموافق ٩ ربيع الاوّل عند عرب مكة المشرفة فاذا قابلنا بين الوقت الثالث والوقت الثانى ظهر لنا أن المكيين لابد أنهم حسبوا عددا كاملا من السنين (الا يوما واحدا) مهما كان نوع الحساب المستعمل عندهم وقتئذ وأن المسافة الزمنية التى بين هذين الوقتين هى ١٨٧٨٠ يوما

ومن المعلوم أن العرب كانوا ولا يزالون يحسبون أشهرهم بمقتضى سير القمر والشهر عندهم اما ٣٠ واما ٢٩ يوما والسنة عادة مركبة

من اثنتى عشرة دورة قمرية وقد كانوا يضيفون الى سنتهم دورة ثالثة عشرة ليجعلوها شمسية كما قاله المؤرخون

واختلف فى كيفية الزيادة فقال قوم انهم كلما مضى أربع وعشرون سنة ضموا اليها تسعة أشهر وقال آخرون بل كلما مضى تسع عشرة سنة أضافوا اليها سبعة شهور وجزم جماعة بانها شهر واحد فى كل ثلاث سنوات وذهبت طائفة الى أنها شهر واحد فى كل سنتين والذى يظهر من أقوال المفسرين واللغويين وأرباب السير أن الجاهلية كانوا يستعملون تاريخا قمريا محضا وبناء على ذلك لاشك أن احدى هذه الطرق الخمس التى أوضحناها كانت مستعملة عند عرب مكة وقت أن غادر النبى صلى الله عليه وسلم هذا البلد مهاجرا الى المدينة المنورة

وقد بينا فيما تقدم أن عدد ١٨٧٨٠ يوما هو عبارة عن عدد سنين كاملة (ينقصها يوم واحد فقط) على مقتضى حساب الجاهلية فاذا قسمنا العدد المذكور وهو ١٨٧٨٠ على عدد (١) متوسط

---

(١) بمقتضى الطريقة الاولى (أعنى بضم ٩ شهور فى كل ٢٤ سنة) يكون متوسط السنة ٣٦٥ يوما و ٤٤١ جزأ من اليوم وبمقتضى الطريقة الثانية (أعنى ضم ٧ شهور فى كل ١٩ سنة) تكون ٣٦٥ يوما و ٢٤٦ جزأ من اليوم وبمقتضى الطريقة الثالثة (أعنى ضم شهر واحد فى كل ٣ سنوات) يكون متوسط السنة ٣٦٤ يوما و ٢١١ جزأ من اليوم وبمقتضى الطريقة الرابعة (أعنى ضم شهر واحد فى كل سنتين) يكون متوسط المدة ٣٦٦ يوما و ١٣٢ جزأ من اليوم وبمقتضى الطريقة القمرية المحضة تكون السنة ٣٥٤ يوما و ٣٦٧ جزأ من اليوم

ايام

أيام السنة باعتبار كل طريقة على حدتها لتعين لنا الطريقة التى كان يستعملها المكيون اذذاك وتلك هى الطريقة التى يكون خارج القسمة فيها عددا صحيحا وذلك لا ينطبق الا على الطريقة الاخيرة (وهى استعمال السنين القمرية المحضة) فهى التى تستوفى هذا الشرط بكل دقة وضبط لاننا اذا قسمنا ١٨٧٨٠ على ٣٥٤ يوما و ٣٦٧ جزأ من اليوم كان الناتج ٥٣ سنة الا يوما واحدا وعلى ذلك يصح لى أن أجزم بأن أهل مكة كانوا يستعملون التاريخ القمرى فى مدة الخمسين سنة التى قبل الهجرة

ولننظر الآن هل يتيسر لنا الحصول على عين هذه النتيجة بمقابلة الوقت الثالث مع الاول أى ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ الموافق ٩ ربيع الاول و ٢٧ يناير سنة ٦٣٢ الموافق ٢٩ من شهر شوال

فنقول حيث ان المسافة الزمنية التى بين هذين الوقتين هى عبارة عن ٢٢١٩٧ يوما وحيث ان بين ٩ ربيع الاول و ٢٩ شوال مسافة قدرها ٢٢٦ يوما يلزم من ذلك بالطبع أن ٢٢١٩٧ يوما يكون سنين كاملة و ٢٢٦ يوما اذ لو قسمنا ٢٢١٩٧ يوما على ٣٥٤ يوما و ٣٦٧ جزأ من اليوم (أى المدة المتوسطة للسنة القمرية المبهمة) لكان خارج القسمة ٦٢ سنة والباقى ٢٢٦ يوما وهذا دليل قاطع بأن السنة التى كانت تستعملها عرب مكة والمدينة فى مدة الاثنتين والستين سنة التى سبقت حجة الوداع قمرية محضة

أفلا يكون اتحادها تين النتيجتين شاهدا عدلا ينطق بصحة الثلاثة الاوقات وبصحة النتيجة نفسها فأرى أن لا جواب سوى الايجاب فان ذلك مؤيد من جميع الوجوه حيث أثبتنا في الدليل الثاني خبرا رواه الطبراني فيما يتعلق بلفظة عاشوراء فلو أمعنا النظر في هذا الخبر لرأينا فيه حجة قوية تدل من أول الامر على أن المكيين كانوا يستعملون الحساب القمري المحض قبل هجرته صلى الله عليه وسلم ولنستأنف ذكر الحديث المشار اليه ايضاحا للمقام وتنويرا للافهام قال

« عن خارجة بن زيد عن أبيه قال ليس يوم عاشوراء الذي يقوله الناس انما كان يوم تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور في السنة وكان الناس يأتون فلانا اليهودي فيسألونه فلما مات اليهودي أتوا زيد بن ثابت فسألوه »

فيوم عاشوراء الحقيقي الذي كان يعينه أحد اليهود هو من غير شك عاشوراء اليهود (يوم ١٠ تشري) الذي يظهر أن جاهلية مكة اختارته واستعملته ومن البديهي أنه لاجل أن يدور العاشر من تشري (من سنة اليهود القمرية الشمسية) أي ينتقل بالتوالي من شهر الى شهر في سنة أخرى يلزم أن تكون هذه السنة الاخرى قمرية محضة

هذا ولاجل أن أقنع الذين بقي عندهم بعض ريبة في هذه المسئلة المهمة بعد أن أوردت ما أوردته من البراهين الساطعة والحجج الدامغة سأذكر جملة دلائل أخرى مؤسسة على حوادث فلكية لا غير

قال فى الكتاب العربى المحفوظ بنمرة ٢١٣ من تكملة الكتب العربية بكتبخانة باريس السلطانية ما يأتى

« وذكر صاحب جمع العدة أن خسوف القمر وقع فى السنة الرابعة فى جمادى الآخرة ولم يشتهر أنه صلى الله عليه وسلم جمع له الناس للصلاة »

فيتضح من ذلك بسهولة أن ذلك الخسوف لا يمكن أن يكون غير الذى وقع فى ٢٠ نوفمبر سنة ٦٢٥ مسيحية (١) وبناء عليه يكون ١٤ جمادى الثانية موافقا ٢٠ نوفمبر سنة ٦٢٥ وهذا وقت قد توصلنا الى تعيينه بمعونة الفلك

وكذلك نرى فى الجزء الصادر فى ابريل سنة ١٨٤٣ من جرنال آسيا ما يأتى تعريبه

(روى المؤرخ بروكوبوس أن القائد بليزير الرومانى جمع رؤساء الجيوش الرومانية فى جمعية عمومية فى سنة ٥٤١ مسيحية وذلك للمداولة فى مشروع حرب عتيدة الوقوع وتعيين مكان القتال وعمل التصميم اللازم لذلك فقام الضابطان الحاكمان على حامية بلاد الشام (سورية) واعتذرا بعدم امكانهما الاشتراك فى الزحفة على مدينة نصيبين محتجين بأن تغيبهما عن مراكزهما يجعل أرض الشام وفلسطين عرضة لغارات المنذر الثالث ملك العرب فبين لهما بليزير أن خوفهما ليس فى محله واستدل على قوله بقرب الانقلاب الصيفى

حيث تلتزم العرب بتخصيص شهرين كاملين لممارسة العبادات بأنواعها مع التباعد عن جميع الاسلحة بالكلية »

ومن المعلوم أن العرب كانوا يعكفون على العبادة ويكفون مطلقا عن استعمال السلاح كالعادة في وقتين اثنين من السنة أولهما عبارة عن شهر واحد (وهو رجب الفرد) وثانيهما مركب من شهرين أو ثلاثة (وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم) فغرضنا الآن أن نعرف الوقت الذي أشار اليه بروكوبيوس فمن نظر الى مجرد ظاهر العبارة السابقة التي أوردنا ترجمتها ربما توهم أن الوقت الثاني هو المقصود وأن الشهرين اللذين تقام فيهما دعائم العبادة هما ذو القعدة وذو الحجة ولكن من سبر غور المسئلة وعرضها لمرآة التحقيق والفحص الدقيق تيقن أن ذلك أمر متعذر بعيد الوقوع لانه اذا كان شهرا ذي القعدة وذي الحجة وقعا حقيقة في زمن الانقلاب الصيفي ترتب على ذلك أحد أمور ثلاثة الاول أنهما انصرما قبل يوم ٢٠ يونيو سنة ٥٤١ الثاني أن أحدهما مضى قبله والثاني بعده الثالث أنهما مضيا بعده وهذا اليوم الذي هو ٢٠ يونيو سنة ٥٤١ هو وقت الانقلاب المذكور بحيث يكون الهلال الذي ظهر في ١٠ يونيو سنة ٥٤١ هو هلال ذي الحجة أو ذي القعدة أو شوال وحيث كان من المعلوم أن طريقة عد السنين التي كانت مستعملة اذ ذاك عند العرب هي واحدة من خمس لانهم كما لا يخفى كانوا ينسئون ٩ شهور في كل ٢٤ سنة أو ٧ في كل ١٩ سنة أو شهرا واحدا في كل ثلاث سنين أو شهرا

واحدا فى كل سنتين أو الطريقة القمرية المحضة وأيضا معنا وقتان معينان من طبيعتهما وهما

أولا ٢٧ ينايرسنة ٦٣٢ وهو وقت كسوف شمسى ويقابل غاية شوّال وبعبارة أخرى ٢٨ ينايرسنة ٦٣٢ الذى ظهر فيه هلال ذى القعدة

ثانيا ٢٠ نوفمبرسنة ٦٢٥ الذى وقع فيه الخسوف الواقع فى شهر جمادى الثانية وبعبارة أخرى ٦ نوفمبرسنة ٦٢٥ الذى لاح فيه هلال جمادى الآخرة

فلاجل أن يكون ما رواه بروكوبيوس صحيحا ينبغى أننا اذا حسبنا بالقهقرى من ابتداء غرة ذى القعدة أى ٢٨ ينايرسنة ٦٣٢ أو من ابتداء غرة جمادى الثانية أى ٦ نوفمبرسنة ٦٢٥ نتحصل فى كلتا الحالتين مع استعمال احدى الطرق السابق بيانها على شهر واحد يكون ذا الحجة أو ذا القعدة أو شوّالا فبالحساب يتضح لنا أن هذا الشرط لا يتحقق قط فى أى حال من الاحوال وذلك لاننا لو حسبنا مبتدئين بالوقتين المعينين عندنا وهما غرة ذى القعدة الموافقة ٢٨ ينايرسنة ٦٣٢ وغرة جمادى الثانية التى هى ٦ نوفمبرسنة ٦٢٥ ورجعنا بالحساب القهقرى الى ١٠ يونيوسنة ٥٤١ الذى يقع فى شهر عربى غير معين (معتبرين زيادة على ذلك أن هاتين المدتين الزمنيتين هما عبارة عن ٣٣١٠٤ يوما أو ١١٢١ دورة قمرية و ٣٠٨٣٠ يوما أو ١٠٤٤ دورة قمرية) لتوصلنا باتباع

الطريقـة الاولى (ضم ٩ شهور فى كل ٢٤ سـنة) الى ناتج مقداره فى الحالة الاولى ٩٠ سنة و ٨ أو ٧ دورات قرية وفى الحالة الثانية ٨٤ سنة و ٥ أو ٤ دورات قرية وذلك يوصلنا الى ربيع الاول أو ربيع الثانى فى الحالة الاولى والى محرم أو صفر فى الثانية ولو اتبعنا الطريقة الثانيـة (ضم ٧ شهور فى كل ١٩ سنة) لكان الناتج ٩٠ سنة و ٨ دورات قرية فى الحالة الاولى و ٨٤ سنة و ٥ شهور فى الحالة الثانية وتكون النتيجة شهر ربيع الاول فى الحالة الاولى ومحرم فى الحالة الثانية

ولو أجرينا العمل على مقتضى الطريقة الثالثة (ضم شهر واحد فى كل ثلاث سنين) لكان الناتج ٩٠ سنة و ١١ شـهرا فى الحالة الاولى و ٨٤ سنة و ٨ شـهور فى الحالة الثانية بحيث نصل الى ذى الحجة فى الحالة الاولى وشوال فى الحالة الثانية

ولو بنينا حسابنا على الطريقة الرابعـة (ضم شـهر واحـد الى كل سنتين) لتحصل عندنا ٨٩ سنة و ٩ شهور فى الحالة الاولى و ٨٣ سنة و ٧ شهور فى الحالة الثانيـة وينتهى بنا الحساب الى شهر صفر فى الحالة الاولى والى شهر ذى القعدة فى الحالة الثانية وأخيرا اذا اتخذنا الطريقـة القمرية المحضـة قاعدة لحسابنا نتج لنا ٩٣ سـنة و ٥ شهور فى الحالة الاولى و ٨٧ سنة كاملة فى الحالة الثانية بحيث نصل فى الحالتين الى جمادى الثانية وحينئذ فلم يتفق مطلقا أن ١٠ يونيو سنة ٥٤١ كان غرة لذى الحجة أو ذى القعدة أو شوال وبعبارة أخرى

لم يتفق وقوع ذى الحجة وذى القعدة فى سنة ٥٤١ مسيحية فى زمن الانقلاب الصيفى

ولنبحث الآن هل كان بركوبيوس وهم فذكر أحد الوقتين (ذا الحجة وذا القعدة) بدلا من الآخر (شهر رجب) اوكان النساخون الذين نقلوا كتابه حرفوا الكلام عن مواضعه فكتبوا [illegible] (أى شهرين كاملين) بدلا من [illegible] (أى شهرا كاملا) وفى هذه الحالة يكون ظهور هلال رجب فى سنة ٥٤١ اما قبل الانقلاب الصيفى مباشرة واما بعده مباشرة بحيث يكون ١٠ يونيو سنة ٥٤١ الذى هو وقت ظهور الهلال الجديد غرة رجب أو غرة جمادى الثانية ولاجل أن يكون ذلك وقع حقيقة يلزم أننا اذا ابتدأنا من الوقتين المعينين السالف ذكرهما وحسبنا صاعدين الى ١٠ يونيو سنة ٥٤١ نصل فى كلتا الحالتين مع اتباع احدى طرق النسىء الخمس التى عرفناها الى شهر واحد يكون امارجب واماجمادى الثانية فباجراء العمل يتحقق لنا استيفاء هذا الشرط بالتمام (وقد أوردنا اليك فيما سبق جدول هذا الحساب فلا حاجة لاعادته الآن) ومن ذلك يتأكد أن بروكوبيوس أخطأ فذكر الوقت المركب من شهرين (ذى القعدة وذى الحجة) بدل الوقت المركب من شهر واحد (رجب) وهذا ان لم نقل ان التحريف صادر عن النساخين

ويتخلص مما تقدم أن الهلال الذى أعقب الانقلاب الصيفى مباشرة

فى سنة ٥٤١ هو غرة رجب الفرد وحيث ان حساب المدة التى بين هذا الوقت و بين الوقتين اللذين صار تعيينهما بواسطة الكسوف والخسوف لا ينطبق الا على الطريقة القمرية المحضة دون خلافها وجب أن نجزم أن العرب مطلقا لم يستعملوا البتة سوى هذه الطريقة فى مدة قرن تقريبا قبل أن ينسخ النسىء صاحب الشريعة الاسلامية المطهرة عليه أفضل الصلاة وأتم السلام

هذا ويمكن تحقيق وقوع شهر رجب مباشرة بعد الانقلاب الصيفى لسنة ٥٤١ بواسطة الوقتين اللذين عيناهما فى الدليل الثانى والثالث

ونختم هذا الموضوع بأننا قد تحصلنا على خمسة أوقات عينا كل واحد منها بطريقة مستقلة عن الطريقة التى اتبعناها فى تعيين الاوقات الاخر واذا مزجنا كل اثنين مع بعضهما نتحصل على عشر نتائج أو عشر مدد زمنية لا ينطبق مرورها الا على الطريقة القمرية المحضة فقط

ولا شك فى أن تمام الاتحاد المطلق الذى شاهدناه بين جميع هذه النتائج هو حجة دامغة وآية بينة على خطا الذين زعموا أن الجاهلية كانوا يستعملون التاريخ القمرى الشمسى بل ان مجرد المقابلة بين الكسوف والخسوف هى برهان رياضى على أن أمة العرب لم تستعمل غير التاريخ القمرى المبهم

وأختم المقال فى هذا المقام بأن العرب لم يستعملوا سوى السنين القمرية المحضة قبل ظهور الاسلام و بعده والله أعلم

المبحث الثانى

فى عمر النبى صلى الله عليه وسلم

أجمع الثقات من المؤرخين على أن الله سبحانه وتعالى استأثر بروح نبيه عليه الصلاة والسلام ونقله الى دار كرامته فى يوم ١٢ ربيع الاول سنة ١١ من الهجرة وأقول ان هذا اليوم يوافق أوائل شهر يونيو سنة ٦٣٢ مسيحية وقد قالوا انه يوم اثنين ومن المعلوم أن الهلال أو الاجتماع الحقيقى للنيرين كان فى يوم الاحد ٢٤ مايه فى الساعة ٩ تقريبا بعد الظهر على حساب الزمن الوسطى للمدينة المنورة بحيث ان العين المجردة لم يتيسر لها رؤية الهلال الا فى مساء يوم الثلاثاء وبناء على ذلك يكون يوم الاربعاء ٢٠ مايه هو غرة ربيع الاول وحيث ان الثانى عشر من هذا الشهر يوافق يوم الاحد ٧ يونيو فلا بد أنه صلى الله عليه وسلم لاقى ربه اما فى يوم الاحد ١٢ ربيع الاول الموافق ٧ يونيو واما فى يوم الاثنين ١٣ ربيع الاول الموافق ٨ يونيو سنة ٦٣٢ مسيحية وحيث قد عرفنا من المبحث الثالث من القسم الاول أن مولده الشريف كان فى ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ مسيحية وعرفنا أيضا من المبحث الاول من القسم الثانى أن المدة التى بين ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ وبين ٧ يونيو سنة ٦٣٢

هى ٢٢٣٢٩ يوما يكون عمره الشريف ٦١ سنة شمسية و ٨٤ يوما أو ٦٣ سنة قمرية مبهمة وثلاثة أيام

هذا ويتضح مما ذكره البخارى ومسلم فى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم عاش ٦٠ او ٦٣ أو ٦٥ سنة وقد اتفق جمهور المؤرخين من السلف على أن عمره عليه الصلاة والسلام ٦٣ سنة كما أقر عليه علماء الخلف وقد قال المسعودى بعد أن سرد جميع الروايات المتعلقة بهذا الموضوع ما نصه

« والذى وجدنا عليه آل محمد صلى الله عليه وسلم انه ابن ثلاث وستين سنة » فهلا يكون الاتفاق الذى تراه بين الروايات المعتبرة وبين النتيجة التى استنبطناها برهانا على صحة قولنا ان العرب كانوا يستعملون الحساب القمرى المحض ولا بأس بذكر بعض كلمات على البعثة النبوية المحمدية قبل أن نختم هذا الموضوع

اتفق البخارى ومسلم وأكثر المؤرخين على أنه صلى الله عليه وسلم بعث بعد أن بلغ أربعين سنة وقد اتضح من حسابى أنه ولد فى ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ مسيحية فاذا حسبنا أربعين سنة قمرية أو ١٤١٧٤ يوما مبتدئين باليوم المذكور انتهينا الى أول شهر فبراير سنة ٦١٠ وهلا تنطق بصحة هذا الحساب الآية الاولى من سورة المدثر التى أعلمته ببعثته وهو قوله تعالى « يا أيها المدثر قم فانذر » لعمرى انها تدل بلفظها الرائق ومعناها الفائق ومبناها الشائق على أنه أوحى اليه

صلى الله عليه وسلم في وقت اشتداد البرد القارس (١) ومن هذا ينتج اننا أيضا برهان صريح يؤكد أن العرب كانت تستعمل التاريخ القمري المحض دون غيره

(الخـــاتمـــــة)

ان الاسماء التي كانت الجاهلية تطلقها على شهورها هي عين التي نستعملها نحن الآن وهي محرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الاولى وجمادى الثانية ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذوالقعدة وذوالحجة ـ وكانوا يعتبرون أربعة منها محرمة ويسمونها الاشهر الحرم لاعتقادهم حرمة القتال فيها من قبل ظهور الدين المحمدي بمدة طويلة وهي رجب وذوالقعدة وذوالحجة ومحرم فكانوا ينزعون السلاح و يكفون عن الحرب والكفاح وتحسم الخصومات وتزول العداوات وقد قال الموسيو كوسان دوبرسوال في هذا الصدد ما معربه « ان ذلك نوع من الهدنة جعلها الله تعالى لحكمة بالغة في أمة دأبها شن الغارات وديدنها تحريك الفتن لكونها اعتادت السلب والنهب فانه يترتب على هذه الهدنة منع القبائل عن ابادة بعضها وتحديد أوقات معينة يأمن فيها الانسان على

(١) قال بعض المفسرين انه صلى الله عليه وسلم كان تدثر بردائه عقيب علمه بخبر سوء أشاعه كفار قريش . وقال آخرون انه لم يتدثر بردائه . . . . . وقال محي الدين بن العربي « ان التدثر انما يكون من البرودة التي تحصل عقيب الوحي . . . »

نفسه ونفيسه فتروج سوق التجارة حيث تكون آمنة مطمئنة »
فعلى ماذكرنا كان للعرب فى كل سنة وقتان تزول فيهما الضغائن وتذهب الاحقاد أحدهما شهر رجب والثانى ذو القعدة وذو الحجة ومحرم الحرام ولكن تحريم القتال فى ثلاثة شهور متواليات شق على قوم ألفوا الحروب واتخذوها وسيلة للتعيش فلم يستطيعوا مقاومة أهوائهم الغريزية

فلاجل أن تقضى العرب وطرها من الغزو اذا انفتحت أبوابه ولا يفوتها مغنم متى تهيأت أسبابه سنوا النسىء الذى هو تأخير حرمة شهر محرم الى شهر غير محرم ليوفقوا بين أهوائهم الحربية وفرائضهم الدينية فكانوا من وقت الى آخر يؤخرون تحريم شهر محرم الحرام الى الشهر الذى يتلوه أى صفر بحيث كانوا يلتزمون مراعاة شهرين محرمين متتابعين بدلا من ثلاثة وانظر ماذكره المسعودى فى هذا المعنى عند الكلام على مكة المشرفة حيث قال

« وكانت النسأة فى بنى مالك بن كنانة وكان أولهم القلمس حذيفة ابن عبيد ثم ولده قلع بن حذيفة وورد الاسلام وآخرهم أبو ثمامة وذلك أن العرب كانت اذا فرغت من الحج وأرادت الصدر اجتمعت اليه فيقوم ويقول اللهم انى أحللت أحد الصفرين الصفر الاول ونسأت الآخر للعام المقبل فظهر الاسلام وقد عادت الشهور الحرم الى بدئها على ما كانت عليه فى أصلها وذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات

والارض

والارض الى آخر ما ذكر عليه السلام فى هذا الحديث وأخبر الله عز وجل عنهم بذلك بقوله انما النسىء زيادة فى الكفر وقد فخر بذلك عمرو بن قيس الفراسى فقال فى كلمة له

ألسنا الناسئين الى معد * شهور الحل نجعلها حراما

وقد قيل ان أسماء الشهور التى ذكرناها وضعت فى عهد كلاب بن مرة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم وكان ذلك قبل الاسلام بقرنين تقريبا وأما أسماؤها القديمة فليست معروفة بكيفية معينة مضبوطة فان المسعودى أورد فى مروج الذهب الاسماء الآتية مبتدئا بالاسم المقابل لمحرم وهى ناتق وثقيل وطليق وناجر وأسلح أو اسلخ او سماح أو سماخ (على حسب اختلاف الروايات) ثم أمنح ثم أحلك ثم كسع ثم زاهر ثم برط أو مرط ثم حرف أو نعيس ثم نعس أو مرنس

وأما البيرونى الذى يظهر أنه أعرف من المسعودى بهذه المادة وأدرى منه فى هذا المعنى فقد قال فى كتاب الآثار

« وقد وجد للشهور أسام قد كان أوائلهم يدعونها بها وهى هذه المؤتمر وناجر وخوان وصوان وحنين وربى والاصم وعادل وناتق وواغل وهواع وبرك » ثم قال

وقد توجد هذه الاسماء مخالفة لما أوردناه ومختلفة الترتيب كما نظمها أحد الشعراء فى شعره

بمؤتمر وناجره بدأنا * وبالخوان يتبعه الصوان

وبالربى وبائدة تليه * يعود أصم صم به السنان

وواغله وناطله جميعا * وعادله فهــــم غرر حسان
ورنة بعدها برك فتمت * شهور الحول يعقدها البنان

وقد أورد العلامة المذكور أيضاً أسماء أخر للشهور لكنها لا تختلف عن التسمية الا بجعل رنة علماً على الشهر الحادى عشر بدلا من هواع (١) وزيادة على ذلك فانا لو راجعناهذه الاسماء فى كتب اللغة لعلمنا أن الجاهلية كانوا يسمون المحرم بالمؤتمر وصفر بناجر وربيعا الاول بخوان وربيعا الثانى بصوان وجمادى الاولى بحنين أو ربا (٢) وجمادى الثانية برنى أو بائدة ورجب بالاصم وشعبان بواغل أو وعل (٣) أو عادل (٤) ورمضان بناتق أو ناتل وشوال بوعل أو وغل أو عادل وذا القعدة بهواع أو رنة وذا الحجة ببرك

واذا تأملنا فى هذه الاسماء نجد أربعة منها تطابق طبيعة الفصول الاربعة فكلمة ناجر التى جعلها المسعودى علما على الشهر الرابع خلافا للبيرونى الذى أطلقها على الثانى تدل على شدة الحرارة وقد استشهد البيرونى على ذلك ببيت قديم جداوهو

(١) وجمعت التسمية الثالثة منظومة فى الابيات التالية
أردت شهور العرب فى جاهلية * فخذها على سرد المحرم تشترك
فؤتمر يأتى ومن بعــــد ناجر * وخوان مع صوان تجمع فى شرك
حنين ورنى والاصم وعادل * وناتق مع وغل ورنة مع برك
(٢) وقد كان ربا يطلق أيضا على الجماديين
(٣) وعل ككتف شعبان كما فى القاموس
(٤) عادل أو عاذل

صرى آسن يزوى له المرء وجهه * وان ذاقه الظما آن فى شهر ناجر

وبناء على ذلك فلا مشاحة فى أن شهر ناجر سمى كذلك فى صميم الحر بحيث يلزم أن شهر المؤتمر وناجر وخوان كانت عبارة عن فصل الصيف

وأما الثلاثة الاخرى (التى قلنا ان أسماءها تطابق طبيعة الفصول) فهى (صوان ورباوبائدة) وتكون هى شهور فصل الخريف وذلك لان طبيعة هذا الفصل تظهر من التأمل لكلمة ربا المشتقة من (ربب) أى الماء الكثير أومن (الرباب) أى السحاب المتعلق الذى نراه كأنه دون السحاب وقد يكون أبيض وقد يكون أسود

وأما الشهر السابع والثامن والتاسع (أى الاصم وواغل وناتل) فيجب أن تكون شهور الشتاء حيث يستفاد ذلك من كلمة ناتل التى معناها شخص يغترف الماء من نهر أوبئر أوعين ليسقى الارض أولغرض اخر

وأما فصل الربيع فيتعين من معنى اسم أول الثلاثة الشهور الباقية التى هى (عادل وهواع وبرك) فان لفظ عادل تدل على من يقوم بالعدل أو الذى يسوى بين العداين

وحينئذ نقول انه لوقوع هذا الشهر حين التسمية فى زمن الاعتدال الربيعى حيث كان الليل والنهار متساويين صارت تسميته عادلا وكذلك نرى علاقات بين بعض أسماء الشهور الجديدة التى هى محرم وصفر الخ وبين طبيعة الفصول الاربعة فان رمضان مثلا مأخوذ من الرمضاء أى الحر الشديد وربيع دال على المطر والنباتات التى تظهر فى

فصل الربيع وجمادى معناه الجامد الجاف كما أن الجماد معناه الارض الجافة لعدم وقوع الامطار ويقال جمد الماء اذا صار ثلجا وجمادى معناه البرد الشديد

فهل تكون المناسبات الغريبة التي نجدها بين أسماء الشهور العربية قديمة كانت أو حديثة وبين الفصول دليلا على أن هذه الاشهر وضعت لسنة قمرية شمسية كلا فان تضافر نصوص العلماء من المؤرخين وغيرهم وعدم ورود أخبار محققة تؤكد ما يخالف هذه النصوص وما هو معلوم من أن مقتضى طبيعة العرب التنقل من مكان الى مكان وجهلهم باكثر شؤون الزراعة وبالجملة فكل عاداتهم وما يتعلق بهم يحملنا على الظن بانهم انما كانوا يستعملون السنة القمرية المحضة

وبناء على ذلك فلا يتفق أن تكون هذه المناسبات حجة على أن شهور ناجر وربا وناتل وعادل هي شهور سنة قمرية شمسية أو زراعية بل غاية ما يستفاد من هذه المناسبات أن العرب أطلقت على الاشهر أسماء تناسب الحوادث الجوية أو غيرها التي وقعت في سنة التسمية فقط ولم يرسلوا أنظارهم الى ما وراء ذلك لجهلهم بأنه بعد مضي سبع عشرة سنة تنتقل شهور الصيف في الشتاء وبالعكس ومتى علم ذلك فهل يصح أن يقال أيضا ان شهر ربيع وجمادى ورمضان الخ (التي هي الاسماء الجديدة لشهور السنة) مرتبة هي أيضا لتكوين

سنة

سنة زراعية كلا فقد عرفنا أن الشهور القديمة لا علاقة لها الا بالسنة القمرية المحضة فلا وجه اذن لاعتبار الشهور الجديدة شهور سنة قرية شمسية ومن العجيب أن أشهر مؤرخينا يذهبون الى ما يخالف ذلك وفي هذا المقام يجمل بنا أن نتساءل عن الاساس الذى اعتمد عليه أولئك المؤرخون فبنوا عليه قولهم فنقول أفلا يحتمل أنهم تناقلوا هذا الرأى بعضهم من بعض بدون امعان ولا ترو

ــ لعمرى ان هذه مسئلة من الاهمية بمكان

فجوابى عن ذلك هو الايجاب ولى على ذلك برهان قريب من الاذهان يتجلى لك من مقابلة العبارات التى سردها أولئك المؤرخون بهذا الصدد وقد سبق الى التنبيه على ذلك الموسيو كوسان دو برسوال (١) حيث قال ان نقل المقريزى كلام البيرونى يكاد أن يكون بالحرف وان البيرونى ومحمد الجركسى انما نسخا كتاب الالوف لابى معشر (٢) الذى هو أقدم من بحث فى هذا الموضوع كما أن كتابه المذكور هو أول كتاب وصل الينا فى هذا الباب وأما أبو الفداء فقد نقل عن المسعودى

هذا وقد أورد الموسيو سيلفستر دوساسى أقوال المقريزى ومحمد

---

(١) راجع نبذته التى عنوانها تقويم العرب قبل الاسلام المندرجة فى جرنال آسيا فى الجزء الصادر فى ابريل سنة ١٨٤٣

(٢) ذكر المسعودى أبا معشر فى مروج الذهب الذى ألفه سنة ٣٣٤ هجرية وقال ابن خلكان ان أبا معشر توفى سنة ٢٧٢ من الهجرة

الجركسى وأبى الفداء فى الجزء ٤٨ من مقالات جمعية الآثار والآداب وكذلك الموسيو كوسان دو برسوال فانه أدرج بعض عبارات البيرونى فى جزء ابريل سنة ٨٤٣ من جرنال آسيا وأما أقوال البيرونى فلم يتكلم عليها أحد فيما أعلم ولهذا أغتنم هذه الفرصة وأسردها فى هذا المقام حيث انه هو أقدم من كتب فى هذه المادة وبهذه الواسطة يمكننا مقابلة ما ذكره بأقوالهم التى هى منقولة عنه فى الحقيقة ونفس الامر

وليعلم انى لم أنقل هذه العبارة من كتاب الالوف ذاته بل من كتاب منتهى الادراك فى تقاسيم الافلاك فقد أسندها صاحبه الى كتاب الالوف لابى معشر (وهذه العبارة مسطورة فى الباب الثامن الذى تكلم فيه على تاريخ الهجرة) وها هى بنصها

« وأما العرب فى الجاهلية فكانوا يستعملون سنى القمر برؤية الاهلة كما يفعله أهل الاسلام وكانوا يحجون فى العاشر من ذى الحجة وكان لا يقع هذا الوقت فى فصل واحد من فصول السنة بل يختلف فمرة يقع فى زمان الصيف ومرة فى زمان الشتاء ومرة فى الفصلين الباقيين لما يقع بين سنى الشمس والقمر من التفاضل فأرادوا أن يكون وقت حجهم موافقا لاوقات تجاراتهم حيث يكون الهواء معتدلا فى الحر والبرد مع توريق الاشجار ونبات الكلا لتسهل عليهم المسافرة الى مكة ويتجروا بها مع قضاء مناسكهم فتعلموا عمل الكبيسة من اليهود وسموه النسىء أى

التأخير الأنهم خالفوا اليهود في بعض أعمالهم لان اليهود كانوا يكبسون تسع عشرة سنة قرية بسبعة أشهر قرية حتى تصير تسع عشرة شمسية والعرب تكبس أربعا وعشرين سنة قرية باثنى عشر شهرا قرية واختاروا لهذا الامر رجلا من كنانة وكان يدعى بالقلمس وأولاده القائمون بهذا الشأن تدعى القلامسة ويسمون أيضا النساة (والقلمس هو البحر الغزير) وآخر من تولى ذلك من أولاده أبو ثمامة جنادة بن عوف ابن أمية بن قلع بن عباد بن قلع بن حذيفة وكان القلمس يقوم خطيبا فى الموسم عند انقضاء الحج بعرفات ويبتدئ عند وقوع الحج فى ذى الحجة فينسئ المحرم ولا يعده فى الشهور الاثنى عشر ويجعل أول شهور السنة صفر فيصير المحرم آخر شهر ويقوم مقام ذى الحجة ويحج فيه الناس ويكون الحج فى المحرم مرتين ثم يقوم خطيبا فى الموسم فى السنة الثالثة عند انقضاء الحج وينسئ صفر الذى جعله أول الشهور للسنتين الاوليين ويجعل شهر ربيع الاول أول شهور السنة الثالثة والرابعة حتى يقع الحج فيهما فى صفر الذى هو آخر شهور هاتين السنتين ثم لا يزال هذا دأبه فى كل سنتين حتى يصير أول شهور السنة الثالثة والعشرين ذو الحجة ويسميه المحرم وتقع حجة هاتين السنتين فى آخر شهورهما وهو ذو القعدة ثم يجعل أول شهور السنة الخامسة والعشرين المحرم فيقع الحج فى ذى الحجة ويعود الدور الى الحال الاولى وكانوا يعدون كل سنتين خمسة وعشرين شهرا وقد وافق خروج النبى

صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة السنة السادسة عشرة من الدور الاخير من الادوار وكان أول شهور تلك السنة شعبان وآخرها الذى وقع فيه الحج رجب اذ كانوا يحفظون ذلك فلما كانت السنة الثالثة والعشرون وصار أول شهورها ذوا لحجة وهى سنة ثمان من الهجرة فتح فيها النبى صلى الله عليه وسلم مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ويقال لسبع عشرة ليلة خلت منه ولم يقم الحج بسبب وقوعه فى ذى القعدة ولما كانت السنة الخامسة والعشرون عاد الدور فيها الى المحرم وصار أول شهور السنة وهى سنة عشر من الهجرة وخرج النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة وحج فى العاشر من ذى الحجة على صور أسماء الشهور وهى حجة الوداع ثم خطب وأمر الناس بما شاء الله أن يأمر به ثم قال فى خطبته ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعنى بذلك أن أسماء الشهور قد عادت الى ما كانت عليه فى أول الزمان ونهاهم عن استعمال النسىء فى السنين فصارت سنوهم وشهورهم دائرة فى الفصول الأربعة التى هى الربيع والصيف والخريف والشتاء الى زماننا هذا والذى ذكرناه هو على ما حكاه أبو معشر فى كتاب الالوف وذكر أيضا فيه عن بعض الرواة أنهم كانوا يكبسون أربعة وعشرين سنة قرية بتسعة أشهر قرية فكانوا ينظرون الى فضل ما بين سنة الشمس وهو عشرة أيام واحدى وعشرون ساعة وخمس ساعة بالتقريب ويلحقون بها شهرا تاما كلما تم منها

ما يستوفى أيام شهر ولكنهم كانوا يعملون على أنه عشرة أيام وعشرون
ساعة فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد
لا تتأخر عن أوقاتها ولا تتقدم الى أن حج النبي صلى الله عليه وسلم
فصارت أسماؤها غير مؤدية لمعانيها اذ كانت أسماؤها مشتقة من
الاحوال الجارية فيها ولا يتفق فيها تلك الاحوال اذا تغيرت عن
أوقاتها من فصول السنة فأول شهورهم المحرم سمى بهذا الاسم لان من
شهورهم أربعة حرما واحد فرد وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب وكانوا يحرمون القتال فى هذه الشهور ولا يتعرضون
لاحد فيها بالقتل والدم وان كان عنده دم ثم صفر سمى به لما كان
يعتريهم من مرض يصفر ألوانهم ثم شهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر
سميا بالربيع لانهما كانا يأتيان فى الخريف وكانت العرب تسمى
الخريف ربيعا ثم جمادى الاولى وجمادى الثانية سميا بذلك لاتيانهما فى
أيام الشتاء عند جمود الماء ووقع الجليد ثم رجب سمى بذلك لانه يقال
فيه ارجبوا أى كفوا عن القتال ثم شعبان سمى به لانشعاب القبائل
فيه الى طلب المياه والغارات ثم رمضان سمى به لانه كان يأتى حين بدأ
الحر ورمضت الارض ثم شوال لقولهم شولوا أى ارتحلوا وقيل بل سمى
به لان الابل كانت تشول فيه باذنابها الشهوة الضراب ولذلك لا تجوز
العرب فيه التزويج ثم ذو القعدة لقعودهم فيه عن القتال ثم ذو الحجة
لاقامتهم الحج فيه فكانت شهورهم منقسمة على الفصول الاربعة

وأساميها منقسمة على ما اتفق فيها من الاحوال وكانوا يبتدئون فيها بالخريف ويسمونه الربيع ثم الشتاء ثم الربيع ويسمونه صيفا ويسميه بعضهم الربيع الثانى ثم الصيف ويسمونه القيظ فلما حرم النسىء تعطلت قسمة الشهور على الفصول وبقيت أساميها أسماء الاسلام فقط » انتهى

أقول وقبل ان نخوض فى بحث هذا الفصل الطويل الذى كتبه أبو معشر ونستنبط منه الفائدة المطلوبة والثمرة المرغوبة أرى من باب الصواب أن نهذب ذكر ما قاله البيرونى بهذا الصدد فانه أيضا قديم بعيد العهد مثل أبي معشر حيث ان حاجى خليفة جعل وفاته بعد سنة ٣٣٠ هجرية ويظهر أنه اشتغل بهذه المسئلة كثيرا ودقق البحث فيها وزاد على أفكار أبي معشر وآرائه ما وصل اليه من الاخبار والروايات القديمة التى ربما كانت أساسا للكبيسة وقد تكلم البيرونى على هذا الموضوع فى موضعين من مؤلفه كتاب الآثار فقال فى الاوّل ما نصه

« وكذلك كانت العرب تفعل فى جاهليتها فينظرون الى فضل ما بين سنتهم وسنة الشمس وهو عشرة أيام واحدى وعشرون ساعة وخمس ساعة بالجليل من الحساب فيلحقون بها شهرا كلما تم منها ما يستوفى أيام شهر ولكنهم كانوا يعملون على أنه عشرة أيام وعشرون ساعة وتتولى ذلك النسأة من كنانة المعروفون بالقلامس واحدهم قلمس وهو

البحر الغزير وهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن قلع بن حذيفة وكانوا كلهم نسأة وأول من فعل ذلك منهم كان حذيفة وهو ابن عبد فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن كنانة وآخر من فعله أبو ثمامة قال شاعرهم يصفه

فذا فقيم كان يدعى القلمسا * وكان للدين لهم مؤسسا
* مستمعا في قوله مرأسا *

وقال آخر

مشهر من سابق كنانه * معظم مشرف مكانه
* مضى على ذلكم زمانه *

غيره

ما بين دور الشمس والهلال * يجمعه جمعا لذى الاجال
* حتى يتم الشهر بالكمال *

وكان أخذ ذلك من اليهود قبل ظهور الاسلام بقريب من مائتى سنة غير أنهم كانوا يكبسون كل أربع وعشرين سنة قريبا بتسعة أشهر فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لا تتأخر عن أوقاتها ولا تتقدم الى أن حج النبى عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وأنزل عليه انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما فخطب عليه الصلاة والسلام وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وتلا عليهم الآية فى

تحريم النسىء وهو الكبس فأهملوه حينئذ وزالت شهورهم عما كانت عليه وصارت أسماؤها غير مؤدية لمعانيها » اه

وقال البيرونى فى الموضع الثانى

« وكانوا فى الجاهلية يستعملونها على نحو ما يستعمله أهل الاسلام وكان يدور حجهم فى الازمنة الاربعة ثم أرادوا أن يحجوا وقت ادراك سلعهم من الادم والجلود والثمار وغير ذلك وأن يثبت ذلك على حالة واحدة فى أطيب الازمنة وأخصبها فتعلموا الكبس من اليهود المجاورين لهم وذلك قبل الهجرة بقريب من مائتى سنة فأخذوا يعملون بها ما يشاكل فعل اليهود من الحاق فضل ما بين سنتهم وسنة الشمس شهرا بشهورها اذا تم (١) ويتولى القلامس من بنى كنانة ذلك بأن يقوموا بعد انقضاء الحج ويخطبون فى الموسم وينسؤن الشهر ويسمون التالى له باسمه فيتفق العرب على ذلك ويقبلون قوله ويسمون هذا من فعلهم النسىء لانهم كانوا ينسؤن أول السنة فى كل سنتين أو ثلاث شهرا على حسب ما يستحقه التقدم قال قائلهم

لنا ناسئ تمشون تحت لوائه * يحل اذا شاء الشهور ويحرم

وكان النسىء الاول للمحرم فسمى صفر به وشهر ربيع الاول باسم صفر ثم والوا بين أسماء الشهور وكان النسىء الثانى لصفر فسمى الذى كان يتلوه بصفر أيضا وهكذا حتى دار النسىء فى الشهور الاثنى عشر وعاد

(١) أظن ان حاجى خليفة اعتمد على هذه العبارة فقال ان الجاهلية كانت تكبس كل تسع عشرة سنة بسبعة شهور مثل اليهود

الى الحرم فأعادوا بها فعلهم الاول وكانوا يعدّون أدوار النسيء ويحددون بها الازمنة فيقولون قد دارت السنون من زمان كذا الى زمان كذا وكذا دورة فان ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصل من الفصول الاربعة لما يجتمع من كسور (١) سنة الشمس و بقية فضل (٢) ما بينها و بين سنة القمر الذى ألحقوه بها كبسوها كبسا ثانيا وكان يبين لهم ذلك بطلوع منازل القمر وسقوطها حتى هاجر النبي عليه الصلاة والسلام وكانت نوبة النسيء كما ذكرت بلغت شعبان فسمى محرما وشهر رمضان صفر فانتظر النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ حجة الوداع وخطب الناس وقال فيها ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض عنى بذلك أن الشهور قد عادت الى مواضعها و زال عنها فعل العرب بها »

فمن مقابلة كلام المقريزى ومحمد الجركسى اللذين تكلمنا عنهما بما قاله أبو معشر والبيرونى وقد نقلناه هنا برمته لا يبقى أدنى شبهة فى أن هؤلاء المؤلفين قد تناقلوا هذه بتتبع اللاحق منهم السابق و يقلد الحديث منهم القديم بلا تمييز بين غث الكلام وسمينه بحيث يمكن أن يقال ان ما أتى به المتأخر منهم ليس الا صورة أخرى لكلام المتقدم وكذلك أبو

(١) لا يمكن أن تكون هذه الكسور الا عبارة عما تبقى من كبس كل ثلاث سنوات بشهر واحد كبسا منتظما وفضلا عن ذلك فان هذه العبارة مناقضة لما يليها كما نبه عليه الموسيو كوسان دو برسوال

(٢) هذا الفرق هو بلا شك عبارة عن كسر صغير من الساعة وخمس ساعة وهو الكسر الذى كانوا أهملوه

الفداء نقل كلامهم كما يتضح من النظر للعبارة الآتية التي ذكرها المسعودي وهي

« وقد كانت العرب في الجاهلية تكبس في كل ثلاث سنين شهرا وتسميه النسيء وهو التأخير وقد ذم الله تعالى النسيء بقوله انما النسيء زيادة في الكفر »

ويخيل لي أن المسعودي أخذ هذا المعنى من جملة من كلام البيروني الاخير حيث قال

« فان ظهر لهم (أي للعرب) مع ذلك (أي مع النسيء) تقدم شهر عن فصل من الفصول الاربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس وبقية فضل ما بينها وبين سنة القمر الذي ألحقوه بها كبسوها كبسا ثانيا »

فان هذه العبارة لا توافق الا كبس شهر واحد كل ثلاث سنين كبسا منتظما

فقد تحقق أن جميع المؤرخين نقلوا كلامهم في الكبس وكيفيته من البيروني أو أبي معشر ويتخلص من ذلك أن القائل بوجود السنة القمرية الشمسية عند العرب انما هو أبو معشر والبيروني ونحن لو أمعنا النظر برهة وأجلنا الروية قليلا فيما كتبه هذان المؤلفان لثبت عندنا أن كلا منهما لم يكن قاطعا بما يقول فان كلاهما في الموضوع الاصلي مبهم مختوم عليه بطابع التردد والشك وذلك لان أبا معشر زعم بلا استناد الى دليل أن الجاهلية كانوا يكبسون شهرا في كل سنتين ثم قال (وعن بعض الرواة أنهم كانوا يكبسون أربعة وعشرين سنة

قرية بتسعة أشهر قرية الى آخر ما قال وجاء البيرونى فسلم فى أول كلامه كبس كل أربع وعشرين سنة بتسعة أشهر ثم ذكر عبارتين (قد علقت عليهما بعض حواش) مقتضى الاولى منهما أنهم كانوا يكبسون مثل اليهود أعنى كل تسع عشرة سنة بسبعة أشهر ومقتضى الثانية أنهم كانوا يكبسون كل ثلاث سنوات كبسا منتظما

لعمرى ان التردد الذى ظهر فى كلام هذين المؤلفين وعدم ثبات كل منهما على رأى واحد يقضى بلا شك بعدم الثقة بقولهما ان لم ينقض ما أثبتاه من أن العرب كانت تستعمل سنة كبيسة

وكيفما كان الامر فيجمل بنا الآن أن نبحث فى الروايات والآثار التى بنى عليها هذان المؤلفان القديمان رأيهما بخصوص حساب الكبيسة وقد سبق ايراد هذه الروايات فى عبارة البيرونى الاولى وهى ثلاثة

أولا قول الشاعر

ما بين دور الشمس والهلال * يجمعه جامع الى الاجمال

* حتى يتم الشهر بالكمال *

ثانيا قول النبى عليه الصلاة والسلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض

ثالثا قوله تعالى انما النسيء زيادة فى الكفر

ولقد جعل المؤلفان السابق ذكرهما العلاقات التى بين الشهور وبين الفصول دليلا على صحة ما فهموه من هذه الروايات ولكن يتفق أن

العرب لم تلاحظ هذه العلاقات الا فى سنة الوضع فقط كما حصل بالنسبة للشهور القديمة

ولنرجع الى البحث فى تلك الروايات فنقول

أما الدليل الثالث الذى هو قوله تعالى (انما النسىء زيادة فى الكفر) فلا يشهد بأن العرب كانوا يستعملون الكبس لان لفظة (النسىء) معناها تأخير حرمة شهر محرم الى شهر غير محرم كما نص عليه أئمة المفسرين وأكابر اللغويين (١)

وأما الدليل الثانى وهو قوله صلى الله عليه وسلم (ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض) فلى عليه تنبيهان الاول ان الخطبة التى ألقاها صاحب الشريعة الغراء فى عاشر ذى الحجة من السنة العاشرة للهجرة يوم حجة الوداع يرويها البخارى بخمس طرق مختلفة (٢) عن رواة متعددين ولم يثبت عبارة (ألا ان الزمان الخ) الا من طريق واحدة وأسقطها فى الاربعة الاخرى فاذا نظرنا الى سند الحديث المثبت للزيادة نجد من ضمن رواته عبد الرحمن بن أبى بكرة الذى ذكره البخارى فى غير هذا الموضع غير مطمئن الى الثقة به وقد قال البخارى فى حقه بعد أن ذكر أسماء رجال من رواة الحديث المثبت للزيادة (ورجل أفضل فى نفسى من عبد الرحمن بن أبى بكرة) فعدم ثقة

---

(١) وفى الواقع ان كلمة نسىء لا تفيد غير ذلك بناء على ما أوضحته من كيفية استعمال الجاهلية للطريقة القمرية المحضة

(٢) راجع صحيح البخارى كتاب الحج باب الخطبة أيام منا وباب حجة الوداع

البخارى

البخاري بأحد رجال السند الذين رووا الحديث بهذه العبارة (ان الزمان قد استدار الخ) مع اهماله اياها في الاربعة الطرق الاخرى يعني على الجزم بعدم صحة الزيادة المذكورة

التنبيه الثاني لو سلمنا صحة هذه الزيادة وأنها صادرة عنه صلى الله عليه وسلم حقيقة يلزمنا أن نبحث هل وجد في وقت حجة الوداع حادثة زمنية يكون النبي عليه الصلاة والسلام أشار اليها بتلك العبارة وتكون هي المقصود من الحديث

ثم فان الحساب يظهر لنا هذا الاتفاق العجيب وهو أن ذا الحجة من السنة العاشرة للهجرة وافق في ذلك العهد آخر شهر من سنة اليهود الدينية بحيث ان شهر المحرم الذي هو مبدأ السنة الحادية عشرة هجرية كان هو عين شهر نيسان الذي هو أول شهور السنة الدينية عند اليهود هذا وربما كان أبو العرب اسحق واسمعيل ولدا خليل الله ابراهيم يستعملان السنة القمرية المهملة مثل أبيهما عليهم الصلاة والسلام ثم انقطع سير شهور هذه السنة بالكبس الذي ابتدعه بنو اسرائيل ولكن السنة القمرية المهملة لم تزل متبعة عند أبناء ابراهيم لاسيما عند اسمعيل بالنسبة للسنة الدينية وحيث وافق أول السنة الحادية عشرة للهجرة مبدأ سنة اليهود الدينية يلزم أن مجموع ما كبسه اليهود من الشهور من مبدء الكبس عبارة عن عدد صحيح من أدوار كل دور منها اثناعشر شهرا حتى يكون اتفاق بين أول السنة الهجرية وأول سنة اليهود الدينية كما يتضح من الحساب بحيث تكون سنة اسحق

واسمعيل وابراهيم رجعت فى زمن حجة الوداع كما كانت عليه فى عهدهم وكأنهم لم يتخللها كبس ولا زيادة فاذا علم ذلك اتضح لنا مع تدقيق النظر أن هذا هو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم (ان الزمان قد استدار الخ) وأما من حيث الدليل الاول وهو قول الشاعر

ما بين دور الشمس والهلال * يجمعه جامع الى الاجال

* حتى يتم الشهر بالكمال *

فانه لا يدل بنوع قطعى على أن عرب الجاهلية كانت تستعمل الكبس وذلك لانه زيادة على عدم التحقق من أصل هذه الابيات أن اسم فقيم الذى يظن أن الشعر قيل فيه لم يذكر بها فمن المحتمل أن تكون قيلت فى حق يهودى عربى كان قائما بحساب سنتهم الشمسية القمرية

فما ذكر يتضح أن قدماء المؤلفين لم ينصوا على أن العرب كانت تستعمل السنة القمرية الشمسية الا من باب الظن والتخمين وحينئذ يصعب على الانسان ابداء رأيه القطعى فى هذه المسئلة معتمدا على أقوال المؤرخين ليس الا فهذا ما دعانى الى الاهتداء بكثير من الحوادث السماوية والاعتماد على الحسابات الفلكية لاجل التوصل الى كل حل نهائى جزمت به فى هذه المجالة

ولنختم هذه الرسالة ببعض كلمات على الاسبوع عند العرب فنقول كانت الجاهلية تستعمل قديما الاسماء الآتية للدلالة على أيام الاسبوع وهى أول (أى الاحد) وأهون (أى الاثنين) وجبار

(أى الثلاثاء) ودبار (أى الاربعاء) ومؤنس (أى الخميس) وعروبة (أى الجمعة) وشيار (أى السبت) وقد استشهد المسعودى والبيرونى بالبيتين الآتيين

أؤمل أن أعيش وأن يومى ＊ بأول أو بأهون أو جبار
أو المردى دبار فان أفته ＊ فمؤنس أو عروبة أو شيار

وأما من خصوص تقسيم اليوم الى أربعة وعشرين ساعة فانى أذهب الى ما رآه الموسيو كوسان دو برسوال من أن عرب الجاهلية كانوا يجهلون ذلك بالكلية والله أعلم

(يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة البهية ببولاق مصر المعزية الفقير الى الله تعالى محمد الحسينى أعانه الله على أداء واجبه الكفائى والعينى)

بحمد رب البرية تم طبع هذه الشذرة البهية والفكاهة الشهية فى التاريخ قبل الاسلام للعرب الامية وتحقيق مولد النبى عليه أفضل الصلاة وأتم التحية المسماة (نتائج الافهام فى تقويم العرب قبل الاسلام) ترجمة ما ألفه بالفرنساوية علامة عصره وفهامة مصره فاتح كنوز الرقائق بما فكه من طلاسمه ومحرر أزياج الدقائق بما صعده من درج المعارف وأداره من فلك التحقيق على أفق التعميق فأبرز غوامض عوالمه الاستاذ محمود باشا الفلكى طيب الله ثراه وجعل نعيم الجنة قراه معربة بأدق العبارات مطرزة

بأبهج طراز من أبدع البراعات سبكها فى قلب العربية المتين
وأودع غوامض اشاراته احلال السحر المبين الصنع البديع الماهر
الفطن النبيل الباهر ذو الاخلاق العطرة الشذية حضرة أحمد
ذكى أفندى مترجم محافظة الاسماعيلية فجاءت يتيمة غواص
وجوذر قناص وانتقيت من بين أشكالها لرقة تمثالها وبراعة
مثالها على أمثالها للطبع فى المطبعة الكبرى العامرة ببولاق
مصر القاهرة فجاءت عروسا تميس فى حلل الدلال وتتيه على
عشاقها ببديع هذا الجمال * فى ظل الحضرة الفخيمة الخديوية
وعهد الطلعة البهية المهيبة التوفيقية حضرة من أنام رعيته فى ظل
أمنه وعمهم بهنى احسانه ويمنه صاحب السيرة العمرية والهيبة
والعدالة الكسروية ولى نعمتنا على التحقيق أفندينا محمد باشا توفيق
أدام الله لنا أيامه ووالى علينا انعامه وحفظ أنجاله الكرام
وجعلهم غرة فى جبين الليالى والايام سنة خمسة
وثلثمائة وألف من هجرة خاتم الرسل الكرام
عليه وعلى آله وصحبه أفضل
الصلاة وأتم السلام

تم تم